ALTINOLUK

الميزاب الذهبي

مجلة فصلية- العدد٤٤ (أيلول- كانون الأول٢٠٢٤)

بذور الخير

دور القرآن الكريم في تزكية الإنسان المسلم

كلمة التحرير

أيها الأخوة القرآء:

جعل الله تعالى سرًّا خاصًّا للمحبة إذ خلقَ الوجودَ به، فحيثما انعدمت المحبة كان الزوال، وحيثما وُجِدَت كان الكمال.. وهذا السر إنما هو سر المحبة. لذلك كان فوزُ الإنسان بالسعادة في الدارَين بنيل رضا الله تعالى وشفاعة نبيِّه الكريم حقيقةً واضحة مخفيَّة في عظمة السر في المحبة. وفي القلوب التي أدركت هذه الحقيقة شوقٌ كشوق جذع النخلة التي بكت محبةً للنبي الكريم ﷺ.

وهذا الشوق يرتقي بالإنسان فيغدو إنسانًا كاملًا يليق بمقام "أحسن تقويم" ويوجِّهه إلى الاستقامة، أي الصراط المستقيم الذي أمر الله تعالى به. والثبات على الاستقامة يكون بالحرص على صحبة الصالحين والصادقين، فصحبتهم تُوازِن بين الروح والجسد، أي تكفل غلبة سلطان الروح على جارية الجسد، وتوصِل القلب الذي هو محلُّ نظر الله إلى الطمأنينة بالله بتخليصه من أسر الجسد وأهواء الدنيا الفانية. وهذه الطمأنينة حبٌّ لا ينضب.

ثم يُعامَل العبد وفقًا لإخلاصه في كل مرحلة في رحلته إلى الخلود وهو ينضج يومًا بعد يوم في تجليات الإيمان والامتحان.

وجعلَ الله سبحانه وتعالى الذي خلق المخلوقات بمحبته كلَّ مخلوق دليلًا على كماله وعظيم إبداعه. وصار وجود الإنسان مظهرًا عظيمًا من مظاهر المحبة، فليس المُراد من التراب وهذا العالَم المُزخرَف السهول والوديان الخضراء والصحاري العظيمة والجبال الشاهقة، بل المُراد الإنسان جوهرُ الكون، وإبداعُ صنع الله، ومنبع المحبة التي كانت وسيلة لخلق التراب والمخلوقات كلها. فتشريفُ الإنسان على قدْر حفظه للغاية من خلقه.

والمحبةُ سببٌ لخلق الكون والمخلوقات، لذلك كانت المحبة ميلًا فطريًّا في كلِّ كائن حي. فحملُ أنثى العقرب صغارها على ظهرها ثمرة من ثمار المحبة. وقد بلغت هذه المحبة أعلى الدرجات في الإنسان أشرف المخلوقات.

الميزاب الذهبي

مجلة تصدر كل أربعة أشهر

العدد الرابع والأربعون
(أيلول- كانون الاول ٢٠٢٤)

رئيس التحرير
بيت الله دميرجي أوغلو

مدير التحرير
حسام يوسف

هيئة التحرير
بيت اللهّ دميرجي اغلوا
حسام يوسف
آدم أزدمير
د. مراد قايا
لقمان حلوجي

الترجمة و التصحيح
محمد عز الدين سيف

التصميم والتنضيد والاخراج الفني
حسام يوسف

دار النشر والطباعة
Ikitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi
Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60 / 3C
Başakşehir - İstanbul / TURKEY
Tel:+90 212 671 07 00 Faks:+90 212 671 07 48

الإشتراك
لكي تصلكم المجلة بشكل دوري
يمكنكم الإشتراك سنوياً بمبلغ ٣٠ دولار

كما يمكنكم المساهمة بإرسال المقالات والملاحظات على عناوين المجلة

للمراسلة
www.islamicpublishing.org
almizab2011@hotmail.com
almizab2011@gmail.com

المحتويات

دور القرآن في تزكية الإنسان المسلم
الدكتور. عبد العزيز بانسي

الولد سر أبيه
الأستاذ: علي رضا تمل

واجبنا تجاه القرآن الكريم والاقتداء به
الأستاذ:: عثمان نوري طوبّاش

القلب تكية
محمد أنس قره دنيز

كلمة التحرير	١	واجبنا تجاه القرآن الكريم والاقتداء به	٢٨
دور القرآن الكريم في تزكية الإنسان المسلم	٣	طريق الوصول إلى الحق	٣٦
يجب أولًا أن نجعل القلب مسجدًا	٨	إدراك الذات أم الأنانية؟	٣٨
إن تنصروا الله	١٠	الانسان والدين	٤٠
كل مكان تكية للعارف بالله تعالى	١٢	حماية القلب في العبادات التي تؤدي إلى رضا الله	٤٢
التكيــة والقلب	١٥	العلاقة بين الإنفاق والتقوى في القرآن	٤٤
الولد سر أبيه	١٨	القلب تكيه	٤٦
القلب المتحول إلى تكية	٢٠	الأمراض النادرة	٤٨
سر الإنسان هو سر القلب	٢٢	إذا كان الماء راكدًا فاصنع موجتك	٥٠
آداب الفتوى ومسؤوليتها	٢٤	مَن الحافظ؟	٥٣
القلب السليم	٢٦	إلى كل مهموم وحزين	٥٦
الذكر بالقلب مقياس الإيمان	٢٧		

ملاحظة: المقالات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

دور القرآن الكريم في تزكية الإنسان المسلم

الدكتور. عبد العزيز بانسي

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

«ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» (صحيح مسلم)

وروي عن ابن شهاب الزُّهْرِيُّ، عَنْ أبي الطفيل عامر بن واثلة قال:

«استعمل عمر بن الخطاب نافعاً الخزاعي على مكَّةَ، قال: فَلقي عمر بعسفان، فقال : من استخلفت على أهل الوادي؟ قال: استخلفت عليهم ابن أبزى، فقال: وما ابن أبزى؟ قال: رجل من موالينا، قال عمر واستخلفت عليهم مولى؟ قال : نعم، إنه قارئ لكتاب الله تعالى عالم بالفرائض ، قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين» (سنن ابن ماجه)

يُظهر هذا الحديث أن الله يعلي بالقرآن قومًا ويخفض آخرين، مؤكدًا أن العلم والتقوى هما المعياران الأساسيان للريادة والسلطة في الإسلام، لا النسب أو الطبقة الاجتماعية. يُعزز هذا الحديث أيضًا معايير التفضيل في الإسلام بين الناس، ويحث المسلمين على طلب العلم والحكمة، والسعي نحو التميز في جميع جوانب الحياة. عبد الرحمن بن أبزى، ﷺ، كان مولى لنافع بن الحارث، والمولى هو من تم تحريره من العبودية. لقد لاقى النبي ﷺ وعاش في الكوفة. عبر عمر عن استغرابه لأبي الطفيل عامر بن واثلة بقوله: "أوكلت إليهم مولى؟" ولم يكن ذلك تقليلاً من شأنه، بل لأن المسؤولية تتطلب شخصًا ذا هيبة ومكانة في قلوب الناس. أوضح نافع، ﷺ، سبب اختياره بأنه "قارئ لكتاب الله"، أي محفوظ له ومُلم بأحكامه، "وعالم بالفرائض". الهدف من هذا القول هو أن الله

قد رفع هذا العبد بتلك الصفات، والناس يعرفون ذلك ويحترمونه ويطيعونه، مما يؤدي إلى استقامة أمورهم.

هذا القول يبرز قيمة القرآن الكريم في حياة المسلمين، فهو ليس مجرد كتاب للقراءة، بل هو دستور حياة يعلي من قدر من يؤمن به ويتبع تعاليمه بصدق. ويُظهر الحديث كيف أن القرآن يمكن أن يكون وسيلة لتعزيز مكانة الأشخاص والمجتمعات إذا التزموا بتعاليمه.

ويوطد هذا الحديث ما نقله أبو موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال:

«مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية، قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» (البخاري،٧٩؛ مسلم،٢٢٨٢).

يُظهر هذا الحديث القيمة العظيمة للعلم والإرشاد الذي أتى به النبي، ﷺ، ويُبيّن التباين في استجابة الناس لهذا الإرشاد. فمنهم من يستفيد ويُفيد الآخرين، ومنهم من يكتفي بالاستفادة دون نشر، وآخرون لا يلتفتون إليه. تُذكّرنا هذه الأحاديث بضرورة تعلم العلم والعمل به وتوزيعه على الناس.

ولذلك عندما سُئلت عائشة -رضي الله عنها- عن خلق رسول الله -ﷺ- أجابت بكل إيجاز قائلة: «كان خُلُقُه القُرآنَ»، وعلى ذلك يقول العلماء إن الرسول كان الإسلام مجسما والقرآن مفسرا. تبين إجابة أم المؤمنين عائشة كيف كان النبي ﷺ يجسد القرآن في سلوكه وأخلاقه.

وبالتالي فما **"دور القرآن الكريم في تزكية الإنسان المسلم"**.

يقول الله في محكم تنزيله:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩]

وفي آية أخرى يقول:

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ [طه: ٧٦]

وفي سورة النساء يقول:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلا﴾ [النساء: ٤٩]

وفي سورة البقرة يقول تبارك وتعالى:

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]

وفي سورة البقرة يقول:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]

يتجلى المقصد الإلهي للإنسان في القرآن الكريم في تكريم الإنسان وتوجيهه نحو العبادة والطاعة لله. يهدف القرآن إلى تربية الإنسان المسلم وصقل شخصيته من خلال تعاليمه وأحكامه، مما يساعده على تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة. ولهذا، وردت آيات كثيرة تؤسس مبادئ منهج يجب على المسلم اتباعه لتطوير مؤهلاته الإنسانية والشخصية والترقي معنويًا لأداء مهمة الاستخلاف على الأرض.

وردت التزكية مقترنة بالتعليم في أربع آيات من الذكر الحكيم.

وهي قوله تعالى:

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة ١٥١]

وقوله:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران ١٦٤]

وقوله سبحانه:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]

وفي واحدة منها تقدم لفظ التعليم على التزكية وهي:

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]

فتلاحظ في هذه الآيات المتكرِّرة بلفظها ومعناها أنه دائمًا ما يُقدِّم التزكية على التعليم، ومن المعلوم أن تقديم الشيء دليلٌ على الاهتمام به والعناية بمكانته، فتلك الآيات جميعها تُعنَى بالتزكية وتقدمها، بينما الآية الأخيرة تنعكس فيها هذا الترتيب، فيقدم فيها التعليم على التزكية.

يمكن توجيه التقديم والتأخير بما يلي:

- يقول البعض إن السر في هذا الاختلاف في الترتيب، هو أن الآيات التي تسبق فيها التزكية هي من كلام الله تعالى وحديثه المباشر للناس، بينما الآية المختلفة هي من قول إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام. وقد كان لهما من البصيرة والحصافة ما يدل على أن وظيفة الأنبياء والرسل والدعاة هي التعليم في المقام الأول، وأما التزكية، فتابعة له ولاحقة.

- وقال البعض إن تعليم الكتاب والحكمة ناشئ عن تطهير الإنسان نفسه باتباع النبي ﷺ، فيعلمه ويفهمه ما انطوى عليه كتاب الله تعالى. وما اقتضته الحكمة الإلهية، كما ذكر أبو حيان الأندلسي في تفسيره (البحر المحيط). وهذا المنحى يشهد له قول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾ [البقرة: ٢٨١]

تُشير بعض الآراء إلى أن استخدام حرف العطف "الواو" في الآيات القرآنية يدل على الجمع المطلق وليس الترتيب الزمني. مثال على ذلك هو قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]

وأيضًا قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

- يقول البعض إن ذكر التزكية ثم تعليم الكتاب والحكمة يشير إلى ضرورة وجود عملية تزكية، وهي الطهارة القلبية، حتى يصبح القلب فارغًا إلا من حب الله ويتخلى عن كل الرذائل ليصبح أهلاً للتحلي بالفضائل. كما يُقال عن عملية التزكية أو التحلية أو التخلية، أنها تهدف إلى تخلية القلب من كل الرذائل وتحليته بكل الفضائل.

التزكية في القرآن تعني التطهير والنماء ببركة الله وفضله. وهي مأخوذة من الزكاة التي تعني الطهارة والنماء، كما في قوله تعالى: {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها}. وبناءً على ذلك، تبدأ التزكية بتلاوة الآيات وتبليغها للناس، فإذا تجاوبت القلوب، تبدأ عملية التطهير القلبي ليصبح القلب مستعدًا لتلقي العلم، كما في دعاء إبراهيم عليه السلام:

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[البقرة: ١٢٩]

يقول بعض العلماء إن عملية التقديم والتأخير بين التزكية والتعليم في مسار التربية المعنوية متروكة لتقدير المربي والمرشد الكامل. وبالتالي، قد يرى المربي أن بعض السالكين أو المريدين يحتاجون بعد تبليغ الآيات إلى تزكية ثم تعليم، أو أن بعضهم يحتاج إلى تعليم الأمور العينية (فرض العين) ثم تزكية النفس. فيرى المربي في أحوال المريدين من يحتاج إلى أمر ما ومن يحتاج إلى أمر آخر، فيقدم ويؤخر بناءً على ذلك.

تُعد قصة الصحابي ربعي بن عامر مع رستم قائد الفرس مثالاً رائعاً على كيفية تربية وصقل شخصية الصحابة. عندما سأل رستم ربعي عن سبب غزوهم لبلاده، قائلا: " أأنت جياع فنطعمكم أم أنكم عراة فنكسوكم أو أنكم اختلفتم فيما بينكم لنرسل إليكم من يصلح بينكم". أجابه ربعي بجواب مفاجئ يعكس تأثير الإسلام في صقل شخصياتهم، قائلاً: "نحن قوم أخرجنا الله من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة".

ثم أوضح ربعي أن المسلمين كانوا في جاهلية يعبدون غير الله ويئدون البنات ويعبدون الأصنام، حتى بعث الله فيهم نبياً أمرهم بعبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام، وأمرهم بالصلاة والصيام وفعل الخير والنهي عن المنكر.

طلب ربعي من رستم إما الدخول في الإسلام أو دفع الجزية أو الحرب. تعجب رستم من قوة ربعي وجرأته وسأله إن كان قائداً في الجيش، فأجابه ربعي بأنه مجرد فرد من جيش المسلمين، وأن المسلمين لا يفرقون بين قائد وأي فرد آخر.

فطلب رستم مهلة للتفاوض مع قومه، فأخبره ربعي أن أمامه ثلاثة أيام للتفاوض وإن لم يرد كانت الحرب في اليوم الرابع. فأراد رستم تمديد المدة لكن الصحابي الجليل أخبره أن النبي عليه الصلاة والسلام علمهم ألا يمهلوا أعدائهم أكثر من ثلاثة أيام حتى لا يعدوا أنفسهم ويغدروا بالمسلمين، لكن رستم عندما استشر قومه اختاروا الحرب فكانت نهاية رستم ونهاية إمبراطورية الفرس معه بعد أن انتصر عليهم المسلمين انتصارا ساحقا.

وهذا عرف عن عباد الله الصالحين بعملية التخلي- تخلية القلب من لأمراض المعنوية والحسية؛ الشرك النفاق، الرياء، والغرور، الكبر، العجب، الحسب-.

ثم بتحلية؛ أي تزيينه بالأخلاق والأعمال الصالحة التي تجلب محبة الله من النوافل والعبادات والأخلاق الحسنة مثل: الكرم، الرحمة، والرأفة والخدمة واللطافة والظرافة. ثم التجلي: فيتحول القلب المسلم:

- **من القلب المريض**: وهو الذي أصابه مرض مثل الشك أو النفاق وفيه فجور ومرض في الشهوة الحرام ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ **إلى القلب السليم**: وهو مخلص لله وخالٍ من الكفر والنفاق والرذيلة ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.
- **من القلب الأعمى**: وهو الذي لا يبصر ولا يدرك الحق والاعتبار ﴿وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾، فيتحول إلى **القلب المنيب**: وهو دائم الرجوع والتوبة إلى الله مقبل على طاعته ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾.
- **من القلب اللاهي**: غافل عن القرآن الكريم، مشغول بأباطيل الدنيا وشهواتها، لا يعقل ما فيه ﴿لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ **إلى القلب المخبت**: الخاضع المطمئن الساكن، ﴿فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾.
- **ومن القلب الآثم**: وهو الذي يكتم شهادة الحق ﴿وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ يتحول **إلى القلب الوجل**: وهو الذي يخاف الله- عز وجل- ألا يقبل منه العمل، وألا ينجى من عذاب ربه، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾.
- **من القلب المتكبر**: مستكبر عن توحيد الله وطاعته، جبار بكثرة ظلمه وعدوانه ﴿قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾، يتحول **إلى القلب التقي**: وهو الذي يعظّم شعائر الله، ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

- **من القلب الغليظ**: وهو الذي نُزعت منه الرأفة والرحمة، ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ يتحول **إلى القلب الحي**: قَلْب يَعْقِل مَا قَدْ سَمِعَ مِنْ الْأَحَادِيث الَّتِي ضَرَبَ الله بِهَا مَنْ عَصَاهُ مِنْ الْأُمَم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾.
- **من القلب المختوم**: فلا يسمع الهدى ولا يعقله، ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾، يتحول **إلى القلب المهدي**: الراضي بقضاء الله والتسليم بأمره، ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾.
- **من القلب القاسي**: لا يلين للإيمان، ولا يؤثِّرُ فيه زجر وأعرض عن ذكر الله ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ يتحول **إلى القلب اللين**: يلين للإيمان ﴿يَخْشَونَ رَبَّهُم ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُم وَقُلُوبُهُم إِلَىٰ ذِكرِ الله﴾.
- **من القلب الغافل**: غافلا عن ذكرنا، وآثَرَ هواه على طاعة مولاه ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾، والقلب الأغلف: قلب مغطى، لا يَنْفُذ إليه قول الرسول ﷺ. ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾، **إلى قلب وجل يخشى ربه**: فلا يرج غيره، ولا يرهب سواه وإذا ذُكِر الله فزعت قلوبه ﴿إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾.
- **من القلب الزائغ**: مائل عن الحق ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾. **إلى قلب هدي وشرح بنور الإيمان** ﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾.
- **من القلب المريب**: شاكٍ متحير ﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، يتحول **إلى القلب المطمئن**: يسكن بتوحيد الله وذكره ﴿وتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ الله﴾.

يجب أولًا أن نجعل القلب مسجدًا

• كيف يصبح القلب تكية؟

الأستاذ د. عبد الرزاق تك: لا شك أن لهذا السؤال إجابات مختلفة، ويمكن لكل منا أن يجيب عليه بناءً على تجاربه الخاصة في محاولة تحويل قلبه إلى تكية. ولكن هذا السؤال يذكرنا بهذه الآية:

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ﴾ (التوبة، ١٨)

وقد فهم الصوفية "المسجد" في هذه الآية بمعنى القلب، وسعوا ليعمروه. ومن هنا يجب أن نوضح هذا المبدأ من البداية: من لا يستطيع أن يجعل قلبه مسجدًا، فلن يتمكن من تحويله إلى تكية.

• ما أهمية القلب لنا؟

الأستاذ د. عبد الرزاق تك: القلب بشكل عام هو عالمنا الروحي وحقيقتنا. هو الجانب الذي يمنح جسمنا معنى، وهو الذي يميزنا عن باقي المخلوقات، وهو سر كوننا خلفاء في الأرض. وإدراك هذا السر يتطلب وعيًا ويقظةً دائمةً. لذلك يمكننا القول إن أول أساس لإعمار القلب هو الوعي. لأن الوعي يجعلنا نفهم سبب وجودنا في هذا العالم، ويدفعنا للتفكير في ما ينتظرنا بعد مغادرتنا له، ويحثنا على القيام بما يجب القيام به. كما أننا لا يمكن أن نتوقع من شخص نائم أن ينهض ويتحرك، لا يمكننا أن نتوقع من شخص يعيش في غفلة أن ينهض من أجل الله ويعمر قلبه. ولتحقيق الوعي، لا يمكننا تجاهل حقيقة الموت. الموت هو الفصل الأخير من مشهد الحياة الذي أعطي لنا مرة واحدة في هذا العالم. الموت هو الحقيقة الأكثر وضوحًا التي تذكرنا بأننا سنترك كل ما نملكه ماديًّا خلفنا. التفكير في هذا الموضوع يبعدنا عن الحياة الغافلة ويعيدنا إلى أنفسنا. الحياة الغافلة تعني هذا:

اللعب في الطفولة، والشهوة في الشباب، والطموحات في منتصف العمر، والحنين إلى ما فات في الشيخوخة.

• ما الفائدة التي تتحقق من الابتعاد عن الغفلة؟

الأستاذ د. عبد الرزاق تك: عندما تحدث اليقظة، يدرك الإنسان ميوله وشروره. ويقرر التخلي عن الرغبات الدنيئة والسفلى. ويتوجه نحو السعي لتحقيق ما يحبه الله ويؤديه. وهذا يقوده إلى العبادة، وهي الأساس الثاني في تحويل القلب إلى تكية. لكن أداء العبادة ظاهرًا لا يكفي للوصول إلى النتيجة المرجوة. بل يجب أن تضيف لها الخشوع، والإخلاص، والتقوى وغيرها من أعمال القلب التي تمنحها معنى.

الشخص الذي يظهر دقة في أعماله يكون جاهزًا للسعي نحو التخلق بالأخلاق، وهو الأساس الثالث في إعمار القلب. الهدف من التصوف والتكية هو التخلق بالأخلاق التي أمر بها الله تعالى، أي التصبغ بصبغة الله. ولتحقيق هذا الهدف، يجب تهذيب النفس وتطهير القلب من الصفات السلبية التي تغطيه. لأن النفس إذا لم تتطهر، فإن الشوائب القادمة منها تغلق نافذة القلب التي تطل على الروح. القلب الذي هو بطبيعته إلهي وروحاني يفقد نوره ويكتسب لون النفس الغامض. فأول ما يجب فعله هو تهذيب النفس لإزالة شوائبها. يزكّي الصوفية النفس تدريجيًّا من خلال مجاهدات وتمارين روحانية متعددة. والهدف هنا هو كسر مقاومة النفس وتدريبها على قبول الحقيقة، وحرمانها من اللذات والرغبات الدنيوية الممنوعة، والاحتفاظ بها داخل الحدود التي يحددها الدين والعقل.

• ما الأساس الرابع في إعمار القلب؟

الأستاذ د. عبد الرزاق تك: الأساس الرابع في إعمار القلب هو الوصول إلى حالة وعي تتعلق بمراقبة الله في كل أمر. هذه الحالة تستلزم تذكر الله تعالى دائمًا، والاعتراف بالعجز والحاجة إليه، والتوجه إليه بالدعاء والابتهال. لأن الإنسان لا يمكنه الوصول إلى هدفه بجهده البشري وإرادته الجزئية، بل بعون الله وفضله. لذلك يجب أن يحمل في قلبه دائمًا الدعاء: "يا رب، لا أستطيع أن أخطو خطوة بغيرك". وبهذه الطريقة يتحقق السلام والسكينة في باطنه. أينما توجه يراقب الله، ويشعر بأنه أقرب إليه من نفسه.

• يبدو أن الوصول إلى هذه المرحلة ليس يسيرًا...

الأستاذ د. عبد الرزاق تك: لكي ينجح السالك في الأمور التي ذكرتها، يجب أن يلتقي بأولئك الذين جعلوا من قلوبهم تكية، وأن يمسك بأيديهم، ويسير على خُطاهم، ويلتزم بآداب الطريقة التي يتبعها. وبهذه الصورة يرى المؤمنين إخوة، ويدرك شعور الأمة ويتحد معهم في مشاعرهم دون الوقوع في الفرقة.

وعي الأمة يعني إدراك أن كل مؤمن هو شخص ذو قيمة، والنظر إلى الحياة من منظور الإسلام، وليس من منظور الحزب أو الطريقة أو الجماعة، وعدم تهميش إخوانه.

وفيما يتعلق بعصرنا الحالي، يمكننا القول إن المهمة الأساسية في بناء هذا الوعي هي جعل القلب تكية. وهذا لا يمكن تحقيقه من خلال أنشطة نظرية وشكلية، أو من خلال طرق خيالية وأفكار بعيدة عن الواقع. بل يجب بذل جهد لتطبيق هذه الأمور بطرق مجربة وقابلة للتنفيذ وتصل إلى الهدف وتخاطب الإنسان المعاصر. وإلا فإن من يعتقد أنه يبني قلبه من خلال تجاهل العبادات والأخلاق، وعدم القيام بواجباته تجاه الأمة، والاكتفاء بإظهار الحب اللفظي والسطحي والكلمات الرنّانة، أو من خلال الادعاءات الفارغة التي لا تنتهي، سيكون قد ضل طريقه، وأصبحت حياته خرابًا ودمارًا.

الأستاذ د. عمر شليك

إن تنصروا الله

إن الهدف الحقيقي من أوامر ربنا سبحانه وتعالى ونواهيه هو أن نخضع لتربية ربانية وتزكية لكي نصبح عبادًا صالحين يستحقون الجنة. لهذا السبب قال الله تعالى في القرآن الكريم:

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) [فصلت، ٤٦]

ويجب أن نفهم مسألة "نصرة الله" المذكورة في هذه الآيات بالطريقة نفسها: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [محمد، ٧]

ولا شك أن الله تعالى ليس بحاجة إلى عون أحد، ولذلك يمكن بسهولة فهم أن المقصود بـ"نصرة الله" هو نصرة دين الله ونصرة نبيه وأوليائه.

هذه النصرة تتحقق أولًا بتنقية قلوبنا من كل المشاعر والأفكار غير الضرورية وتزيينها بالأخلاق الحميدة التي ترضي الله تعالى.

وتتحقق هذه النصرة أيضًا بدعم النبي صلى الله عليه وسلم ورفع دينه، والعمل من أجل نشر هذا الدين وتعليمه وحفظه، سواء بالمال أو بالنفس. والله تعالى ينصر الذين ينصرون دينه بأكثر مما ينصرون أنفسهم. يحفظهم من الوقوع في الباطل ويثبتهم على الإسلام والإيمان والإحسان، ويقوي قلوبهم بالطمأنينة والسكينة التي يمنحها لهم.

ويمدُّ الله تعالى المؤمنين أيضًا في المعارك بإمدادات إلهية خاصة، كما حصل في غزوة بدر، حيث وردت المساعدة الإلهية في هذه الآيات:

(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) [الأنفال، ٩]

وفي يوم بدر، نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين، فوجدهم ألفًا، بينما كان أصحابه ثلاثمئة وبضعة عشر رجلًا. فتوجه إلى القبلة، ورفع يديه إلى السماء، ودعا ربه قائلًا: "اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض".

ما زال يهتف بربه، مادا يديه، مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه من منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، فقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، إنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله الآية السابقة. (مسلم، الجهاد، ٥٨؛ الترمذي، تفسير، ٨، ٣/ ٣٠٨١)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [محمد، ٧]

لا شك أن الله تعالى ليس بحاجة إلى عون أحد، ولذلك يمكن بسهولة فهم أن المقصود بـ"نصرة الله" هو نصرة دين الله ونصرة نبيه وأوليائه. هذه النصرة تتحقق أولًا بتنقية قلوبنا من كل المشاعر والأفكار غير الضرورية وتزيينها بالأخلاق الحميدة التي ترضي الله تعالى.

نزل العون الإلهي في صورة نوم خفيف يريح العينين ومطر جميل يبرد الأرواح:

(إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ). [الأنفال، ١١]

كان معسكر المسلمين في بدر رمليًا، ولذلك لم يكن من السهل التنقل فيه. وبدأت تظهر مشكلة نقص الماء. وكان من الصعب الحصول على كمية كافية من الماء للوضوء والاغتسال. حاول الشيطان أن يزرع الخوف في قلوب المؤمنين من خلال هذه الصعوبات ومن خلال كون المشركين أكثر عددًا وقوة. في تلك الليلة أرسل الله تعالى مطرًا غزيرًا. فامتلأت الأودية بالمياه. وملأ المسلمون أوعيتهم، وتوضؤوا واغتسلوا وسقوا دوابهم. كما ساعد المطر على تسوية الغبار وتقوية الأرض. أما مشركو قريش فلم يتمكنوا من التحرك بسبب المطر، وظلوا في أماكنهم. ومنح الله تعالى المسلمين حالة من السكينة ونومًا مريحًا. (الطبري، جامع البيان، ٩، ٢٥٦)

وكان شكل آخر من أشكال العون الإلهي هو نزول الملائكة للمساعدة وزرع الخوف في قلوب الكافرين:

(إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ. ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ) [الأنفال، ١٢-١٤]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم بدر: "هذا جبريل، آخذ برأس فرسه، عليه أداة الحرب". (البخاري، المغازي، ١١)

وقال حُوَيطب بن عبد العزى: "لقد شهدت بدرًا مع المشركين، فرأيت عبرًا، فرأيت الملائكة تقتل وتأسر بين السماء والأرض، فقلت: هذا رجل ممنوع". (الحاكم، المستدرك، ٣، ٥٦٢/ ٦٠٨٤)

وقال أبو داود المازني رضي الله عنه وكان شهد بدرًا: "إني لأتبع رجلًا من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أنه قد قتله غيري!". (أحمد، مسند، ٥، ٤٥٠)

كل مكان تكية للعارف بالله تعالى

الدكتور. سليمان درين

إن الطريق المعنوي الذي نطلق عليه اسم "التصوف" يفيد سالكيه في نقطتين أساسيتين. الأولى هي أن التصوف يساعدنا على بناء علاقتنا مع ربنا العظيم على أساس العبادة، والمحبة، والتسليم، والرضا. فالمهمة الرئيسية للتصوف هي أن يجعل الإنسان عبدًا صالحًا حسنًا، لكن الطريق إلى أن يكون الإنسان عبدًا صالحًا يمر عبر إظهار الشفقة تجاه عباد الله وخدمتهم.

والفائدة الثانية للتصوف هي أن الصوفيين يرون خدمة عباد الله عبادة، ويدعونهم إلى الله برحمة وشفقة. وأهم تجليات الرحمة تجاه الناس هو التفكير في آخرتهم. ولأجل هذا قدم أحباء الله عبر التاريخ العديد من التكايا والزوايا لخدمة الإنسانية، وتربى فيها الكثير من الناس. فيُفهم من هذه الجهود درجة الإنسان في الروحانية. السالك في بداية الأمر يكون أنانيًا نسبيًا، فهو يسعى فقط لإنقاذ نفسه وبعض المقربين منه. ولكن مع تقدمه في الطريق المعنوي، يحدث له "انشراح الصدر"، ونتيجة لذلك، تبدأ مشاعر الرحمة تجاه عباد الله تتدفق من قلبه.

في الآونة الأخيرة، شهدنا كيف أن كبار العلماء الذين يمثلون الرحمة يحولون بعض المساحات مثل الطوابق العلوية من المتاجر، وحدائق منازلهم، ومقاصف مصانعهم، وحتى سياراتهم، إلى زوايا لخدمة القلوب العطشى للروحانية. ذلك لأن القلب عندما يتخم بمحبة المؤمنين، يصبح كل مكان تكية له. ولكن على النقيض، عندما يتوقف القلب عن خدمة الحق، تصبح حتى التكيات بلا فائدة.

من بين الصوفيين الذين جعلوا كل مكان تكية الإمام الرباني أحمد السرهندي. فقد أُلقي به في السجن

بسبب فتنة الشيعة، ولكنه استغل هذه الفرصة وحوَّل السجن إلى تكية لإرشاد السجناء، وكان سببًا في هداية العشرات من الهندوس. وبعد حين رأى الحاكم شاه جيهانغير رسول الله في المنام وهو يعاتبه على إبقاء الإمام الرباني في السجن، فقرر بناءً على هذه الرؤية إطلاق سراحه. ولكن الإمام الرباني لم يهرع إلى أهله فورًا، بل فضَّل البقاء في المعسكر تقديم الإرشاد الديني للسلطان وجيشه. وفي هذه المناقشات استطاع دحض آراء بعض العلماء الفاسدين سابقًا الذين كانوا يفسدون الدين، وألغى تأثيرهم.

يقول الإمام الرباني لأقربائه حول جهوده في المعسكر:

"الحمد لله، الأحوال في المعسكر ممتازة. هناك مناقشات غريبة عجيبة تجري هنا. بعون الله سبحانه وتعالى، لم نتنازل ولو قليلًا عن الأصول الإسلامية في هذه المناقشات، ولم يدخل فيها أي احتيال أو تلاعب." (المكتوبات، ج ٣، الرسالة ٧٨)

حادثة مشابهة حدثت أيضًا في المغرب، حين سُجِنَ أحد أشهر الصوفيين المفسرين فيها، وهو أحمد ابن عجيبة، بسبب الافتراءات التي أطلقها عليه بعض الحاسدين. لكنه لم يبقَ مكتوف اليدين في السجن، بل دعا الناس إلى الحق والحقيقة، وأقام حلقات للذكر في السجن، ويصف بنفسه كيف حول السجن إلى تكية قائلًا:

"بقينا مع دراويشي في السجن ثلاثة أيام. أقسم بالله أنني لا أذكر في حياتي وقتًا أجمل من هذه الأيام الثلاثة. لأننا حولنا السجن إلى تكية. جميع السجناء انضموا إلى حلقات الذكر، وكنا نذكر معًا. (بسبب الجو الروحاني الذي ظهر) سيطر على أهل السجن حالة من البسط الرهيب، ونسي الجميع همومهم أثناء وجودهم معنا. بل وأعطيت دروس الطريقة لأربعة أو خمسة منهم، واحتفل جميع السجناء معنا كأنهم في يوم عيد." (ابن عجيبة، الفهرسة، ص. ٥٧)

إن انتشار المادية في عصرنا أدى إلى ضيق في القلوب لم نشهده من قبل. ربما توسعت منازلنا من الناحية المادية، لكن القلوب ضاقت وأغلقت أبوابها أمام الدروس الدينية والضيوف والجيران. يقول المثل الإنكليزي: "منزل الإنكليزي قلعته"، أي إن أحدًا غير صاحب المنزل لا يمكنه دخوله. وللأسف، أصبح هذا المثل ينطبق علينا أيضًا. لذلك علينا أن نكون حذرين، ونحرص على أن نحافظ على السخاء، والشغف بالعبادة، والتمتع بخدمة الناس على مدار السنة. يجب أن تكون منازلنا وأماكن عملنا وقلوبنا مفتوحة دائمًا للمؤمنين، وأن تكون مليئة بالبركة من خلال الدروس والصحب المعنوية.

"إن الذي يهدي الناس إلى الله، ويتمتع بعزيمة الجبال، ويصبر على كل نوع من المشقات، ويهذب الناس بحكمة، ويسهم في هداية الكثيرين، هو من أولي العزم من الأولياء. هؤلاء هم ورثة النبي صلى الله عليه وسلم، وهم مجددو الشريعة".

ومع تقدم الإنسان في مجال الروحانيات، يتسع قلبه ليصبح بمثابة زاوية روحانية مفتوحة لجميع المؤمنين. هناك قلوب تحتضن فقط قريتها أو بلدة صغيرة، وهناك قلوب أخرى تضم كل سكان العالم بداخلها. يُطلق ابن عجيبة على هذه الفئة الأخيرة من المؤمنين اسم "أولي العزم"، ويقول عنهم: "إن الذي يهدي الناس إلى الله، ويتمتع بعزيمة الجبال، ويصبر على كل نوع من المشقات، ويهذب الناس بحكمة، ويسهم في هداية الكثيرين، هو من أولي العزم من الأولياء. هؤلاء هم ورثة النبي صلى الله عليه وسلم، وهم مجددو الشريعة".

إن فائدة هؤلاء الأشخاص على الآخرين لا حدود لها، وفقًا للإمام الرباني، فهم مثل الشمس التي تدفئ كل ما تصل إليه:

"صاحب هذه الكمالات هو إمام العصر، وخليفة الزمان. نظرته دواء لأمراض القلوب، وتوجهه شفاء للأمراض المعنوية... نور هدايته وإرشاده يشمل كل شيء مثل ضوء الشمس، رغم أن إرادته ليست بيده، ولكن إذا استخدم إرادته لتنوير شخص ما، فكيف سيكون الحال؟"

نحن أيضًا يجب أن نسعى لنصبح دراويش أولي العزم، وأن نتبع طريق كبار الصوفيين ونكون عونًا لإخواننا المسلمين في كل فرصة.

وكما أن الشمس تنير وتدفئ جميع الكائنات بحرارتها ونورها، فإن السالك في طريق الروحانية يجب أن يكون مثل الشمس، وإن لم يستطع فليكن كالقمر، وإن لم يستطع فليكن كنجوم الليل المضيئة التي ترشد الناس في الظلام.

يرى الإمام الرباني أن العلماء الذين يدعون الناس إلى الله أعلى منزلة من الصوفيين الذين يجلسون في زواياهم دون دعوة الناس إلى الله. ويجيب الإمام الرباني على الاعتراضات التي قد تُثار حول هذا الأمر بقوله: "إذا كان طالب العلم أسيرًا لنفسه، فكيف يمكن أن يُذكر قبل الصوفي الذي تحرر من نفسه؟ السر في هذا هو أن طالب العلم، حتى لو كان أسيرًا لنفسه، فإنه سبب في هداية الناس، ومع اتباعه لشهواته وإيذاء نفسه، إلا أن الجميع يستفيد من علمه. وإذا احترق، فإنه يصبح وسيلة لإنقاذ الآخرين. أما الصوفي الذي يُفترض أنه قد تحرر من نفسه، فإنه أنقذ نفسه فقط. ومن المقبول لدى الجميع أن الشخص الذي يعتمد عليه خلاص الكثير من الناس أفضل من الشخص الذي ينحصر نفعه على نفسه فقط. ومع ذلك، إذا اجتهد الصوفي في هداية الناس وجعل قلبه زاوية معنوية، فإن الأمر يتغير ويصبح هو الأعلى منزلة".

وفي هذا الزمن العصيب الذي تمر به غزة والعالم الإسلامي، لا يمكننا الخروج من هذا الوضع الصعب إلا بجهود المؤمنين الذين حولوا قلوبهم إلى زوايا معنوية. فطوبى لتلك الأرواح العظيمة التي ضحت بكل ما تملكه ماديًّا ومعنويًّا في هذا الطريق!

الغرض من الأخلاق أن يهذب الإنسان من صفاته وخصائصه ليكون "إنسانًا كاملا" في نظر الإسلام يستشعر أنه تحت نظر الحق جل وعلا فبذلك تصير الخصائص العليا مثل اللطافة والظرافة والأدب والحياء والكرم والجود والشفقة والرحمة وغيرها من الصفات الكريمة فطرة طبيعية منقوشة في جوهر الإنسان .

وفي هذا الصدد ، فإن الأخلاق جزء لا يتجزأ من الدين والإيمان ، بل هي بمثابة الروح والجوهر من الدين . كما أن نبينا ﷺ الذي أرسل رحمة للعالمين ودليل هدايتنا يبين عن وظيفته العظيمة هذه بقوله:

"بعثت لأتمم حسن الأخلاق" (موطأ مالك ، الجامع، حسن الخلق ٨)

التكيـــــة والقلب

محمد لطفي أرصلان

كل مؤسسة تولد أولًا في القلب، ثم تصبح مشروعًا في الذهن، فيجذب المشروع عقولًا أخرى. ثم يُبذَل الجهد ورأس المال والعلاقات، ويخرج هيكل إلى الوجود. والحق أن القلوب هي التي تنطلق في الرحلة. قلب واحد تحرك ووجد قلوبا أخرى تؤمن به. القلب هو الذي يؤسس المؤسسة ويبدأ الطريق. ويرتبط قدر كل مؤسسة قليلًا بقدر القلب الذي أسسها.

قلب الإنسان المركزي هو الدستور غير المرئي للمؤسسة. وكما أن القلب هو مركز الجسم، كذلك القلب المركزي هو الغرفة الكونية للمؤسسة. تنمو المؤسسة اعتمادًا على نصيب ذلك القلب وجهده. فكم من مؤسسة تملك ظاهرًا العديد من الإمكانيات لكنها لا تحقق النتيجة المتوقعة. وكم من مؤسسة، رغم الصعوبات والعقبات، تفتح آفاقًا هائلة. التفسير لسبب ذلك يحتاج إلى الكثير من الكلام، ولكن السر يجب أن يبحث في نصيب قلب الإنسان المركزي.

كل مؤسسة تنمو بقدر نصيب الإنسان المركزي. النية والهمة تحددان نصيب القلب. والنية والهمة هما قرار القلب. والعضو المعروف بتغيره وتحوله المستمر يمنع العمل الذي يكون في مركزه من أن يصبح آليًّا. لكن من الصعب إبقاء القلب على قرار واحد. المؤسسة موجودة لتقديم خدمات معينة في زمان ومكان محددين. وهذا يتطلب بشكل حتمي روتينًا. والعقل يحب الروتين، بينما القلب يرغب في البركة. ونصيب القلب في مركز المؤسسة يكمن في إدارته لهذا التوتر.

تنمو المؤسسة إذا سعت إلى بركة الروتين. وبركة الروتين هي ظهور القلب في كل عمل. كل يوم بداية جديدة. الولادة من جديد في كل لحظة وعدم الشعور بالملل هي من اختصاص القلب، والعقل لا يستطيع ذلك. من يضع قلبه في مركز

اليوم مستوى وجود التكية داخل النسيج الاجتماعي الحالي هو مستوى القلب. التكية ليست موجودة ظاهرًا، لكنها تستمر في العيش مع من لديهم قلب التكية. عنوان التكية للباحثين هو الأشخاص الذين لديهم قلوب التكية. هم أهل الحق الذين يحيون ويمثلون ما وعدت به التكية في شخصياتهم أو مؤسساتهم. ما كانت التكية تفعله من قبل هو ما تفعله قلوب هؤلاء الناس اليوم. لذلك، لم تُغلَق التكية، بل أصبحت تُعرَّف من جديد بنطاق نفوذ القلوب المستعدة.

الأشخاص الذين لديهم قلب التكية هم من جعلوا حياة قلوبهم مركز حياتهم. ينظرون بقلوبهم، ويسمعون بقلوبهم، ويعقلون بقلوبهم، ويعيشون بقلوبهم. القلب هو مركز الجسد. فإذا صلح، صلح الجسد كله، وإذا فسدَ، فسد الجسد كله. القلب هو المركز، لكن ليس كل شخص ينجح في العيش بقلبه. العيش بالقلب فن. وللوصول إلى هذا الفن في عالم يعيش فيه الجميع بأجسادهم، يحتاج المرء إلى معلم وبذل جهد.

المؤسسة يصبح جاذبًا للقلوب ببركة الروتين. ولا تُدار قلوب الناس بالقواعد، واللوائح، والمباني الجميلة، أو الممرات الطويلة. القلب يُدار فقط بالقلب. لا يمكن الحصول على القلب دون إعطائه.

مؤسسة مَن نيته وهمته الله تسمو وتعلو بعون الله. وعون الله هو العمل من أجل تحقيق مراده في العالم والإنسان. روتينها المبارك هو أن تكون عونًا لله الفاعل الحقيقي والذي هو في كل لحظة في عمل. العون هو عون دينه. العون هو جعل الله محبوبًا لدى عباده والعباد محبوبين لدى الله. فمَن ينوي ويجعل همته هذا، فالله هو عونه. ومَن كان الله عونه، فنصيب قلبه وحظ مؤسسته كبير.

تحمل كل مؤسسة آثار النسيج الاجتماعي الذي خرجت منه. وكلما كان النسيج الاجتماعي متناغمًا سليمًا، كانت المؤسسة من ذلك النسيج متناغمة وسليمة. القلب المركزي الذي يؤسس المؤسسة هو المحدِّد، لكن كل مجتمع لا يمتلك مؤسسات تتجاوز ما يستحقه. مؤسسات المجتمع هي صورة للنسيج الاجتماعي من حيث النوع والوظيفة. وإذا كان المجتمع يتجاهل التكية الصوفية أو الزاوية، فذلك لأنه لا يملك جودة حياة وطابعًا متناسبًا معها.

التكايا أنشئت لعون الله، وكانت مؤسسات يُعلَّم فيها فن العيش بالقلب، ويُكتسب الأدب والتربية. وفي مركز التكية كان هناك قلب شخص من أهل القلوب، فكانت التكية قلب ذلك الإنسان المركزي. القادمون كانوا يأتون إلى ذلك القلب، والمحتاجون كانوا يحتضنهم ذلك القلب. التكية كانت الشكل المؤسس لذلك القلب المركزي. لم تكن التكية أربعة جدران، ولا البساط، ولا الأسماء، ولا الطقوس، ولا الملابس؛ بل كانت قلبًا سليمًا وتائبًا يجد القادمون فيها السلام والروحانية.

ثم هبَّت رياح الإنكار بقوة، وأُغلِقت أبواب التكايا ظاهرًا. التكية لم تختفِ عندما أُغلِقت أبوابها، لأنها كانت تجسيدًا لحاجة الإنسان، لأنها فرع من المسجد الأول الذي أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي كان مدرسة، ومأوى، ومستشفى، ومجلس شُورى. استمرت التكية في الوجود، لكن بأشكال مختلفة. مع تغير طبيعة الدمار، كانت تجدد شكلها، أحيانًا كانت جمعية، وأحيانًا وقفًا، وأحيانًا مدرسة شرعية، وأحيانًا شيئًا آخر، لكنها استمرت في الوجود دائمًا، بقدر نصيب النسيج الاجتماعي واستحقاقه.

في هذا الوقت الذي تجاوز فيه الحداثيون حدودهم، واعتقدوا أنهم قادرون على كل شيء، فتألَّهوا، تجددت التكية مرة أخرى. فاليوم ليس من اليسير العثور على تكية ظاهرًا، لأن الفيروسات الحديثة التي تخترق كل شيء قطعت شوطًا طويلًا في السيطرة على العقول والروتين وتحويلها لنفسها. عندما يتجسد ما يظهر في القلب في الذهن ويصل إلى مرحلة المشروع، تظهر الفيروسات الدنيوية ويتحول الأمر إلى شيء آخر. إذا لم ترتفع التكية إلى مستوى لا تستطيع الفيروسات الدنيوية اختراقه، فإنها لا تستطيع أن تؤدي وظيفتها.

اليوم مستوى وجود التكية داخل النسيج الاجتماعي الحالي هو مستوى القلب. التكية ليست موجودة ظاهرًا، لكنها تستمر في العيش مع من لديهم قلب التكية. عنوان التكية للباحثين هو الأشخاص الذين لديهم قلوب التكية. هم أهل الحق الذين يحيون ويمثلون ما وعدت به التكية في شخصياتهم أو مؤسساتهم. ما كانت التكية تفعله من قبل هو ما تفعله قلوب هؤلاء الناس اليوم. لذلك، لم تُغلَق التكية، بل أصبحت تُعرَّف من جديد بنطاق نفوذ القلوب المستعدة.

العمل الماهر هو مسألة نصيب، ولا يجده إلا الباحث عنه. ولكن لدينا أربع كلمات لنقولها في موضوع بذل الجهد. هذه الكلمات كانت أول ما يخطر على البال عندما تُذكر التكية. كانت هذه الكلمات معلقة على جدران التكايا وتعبر عن روحها ومعناها وآفاقها. الداخل كان يرى هذه الكلمات أولًا، وبها يعرف حده وحدوده، إن جاز التعبير. واليوم أيضًا هذه الكلمات هي دستور الذين قلوبهم هي التكية. زينوا قلوبهم بهذه الكلمات، ثم وجهوا مخاطبيهم الذين يطرقون باب التكية بحالة هذه الكلمات الأربع.

الكلمة الأولى من الكلمات الأربع هي: "لا شيء". هذه الكلمة التي تعبر عن التخلي عن الأنا هي في الحقيقة قسطاس وجودنا. كنا لا شيء، هو تعالى الذي أوجدنا. ما زلنا لا شيء، هو تعالى الذي يجعلنا موجودين. إدراك اللاشيء هو في الواقع تحديد حقيقة. شهوات النفس تمنعنا من رؤية الحقيقة. ومَن يدرك ما هو عليه يصبح قلبه جميلًا. القلب الذي يتجمل باللاشيء تنفتح بصيرته. تلك البصيرة تُلهِم من يتوجه إليها بنفس الإيحاء. اللاشيء يصبح قاسمًا مشتركًا، ويجمع القلوب. والقلوب التي تجتمع على قاعدة اللاشيء تتخذ مسارًا ساميًا في طريق الحق.

أما الكلمة الثانية فهي "أدب يا هو". هذه الكلمة هي دعاء وإنذار في آنٍ واحد. مَن جعل قلبه تكية، فعل ذلك بالالتزام بالأدب. ومَن يعلم أنه لا شيء، يدرك أن الأدب هو السبيل الوحيد. ومَن يتصرف بأدب يرى لطف الله. القلب الذي يمتلك الأدب يلهمه لمن يتعامل معه. لا العلم ولا الثروة ولا أي شيء آخر يمكن أن يحل محل الأدب. والوصول إلى مرضاة الله يكون بالأدب. ومَن يبقى في الطريق يدفع ثمن قلة الأدب. والدين جاء لضمان الأدب. قانون تكية القلب هو الأدب.

وأما الكلمة الثالثة فهي "تسامح يا هو". هذه الكلمة تنظم التعامل بين الناس. فالأساس هو عدم الضرر أو التضرر. والنظر إلى المخلوقات بعين الرحمة والشفقة من أجل خالقها هو ضرورة لتكية القلب. هذه النظرة هي دعوة إلى سعة تكية القلب التي تشمل الجميع. ومَن يوسع صدره بهذه الطريقة يفعل ذلك بنصيبه من الرحمة والشفقة. وهذا النصيب هو إرث محمدي.

وأما الكلمة الرابعة فهي "هذا أيضًا سيمر يا هو". في هذا العالم، لا الحزن ولا الفرح دائم. ولا العبد ولا الدنيا دائمون. المرور من الفاني والإشارة دائمًا إلى الباقي هو شعار تكية القلب. القلب التائب والسليم دائمًا عنوان الأمل، يحذر من اليأس. مثل هذا القلب هو مستشفى تجد فيه القلوب المكسورة الشفاء. الابتسامة التي تخرج من هناك، والكلمة المطمئنة، والمديح، تفعل ما لا تستطيع كثير من العلاجات فعله، لأنها تخرج من مصدر نقي وصافٍ.

واليوم ليس وقت الحزن لعدم وجود التكية. التكية موجودة ومكانها هو القلوب التائبة والسليمة. عندما يصل القلب إلى السعة والسلامة التي يريدها الحق، يتولى وظائف التكية، لأن التكية هي في الأساس شكل مؤسَّس لقلب جميل. القلب الجميل هو القلب الذي يلتقي بالوحي. الذين قلوبهم هي التكية هم الذين يعيشون بالأخلاق التي يريدها ربنا الرحيم. الذين قلوبهم هي التكية هم الورثة الحقيقيون لنبيّنا المرسل رحمة للعالمين.

الأستاذ: علي رضا تمل

الولد سر أبيه

كان جعفر بن أبي طالب من أوائل الذين دخلوا في الإسلام، وهو أسنُّ من علي بن أبي طالب ١٤ سنة. وعندما اشتد تعذيب قريش للمسلمين في مكة، انضم إلى المجموعة الثانية التي هاجرت إلى الحبشة برفقة زوجته أسماء. وجعله النبي ﷺ قائدًا لهذه المجموعة.

كان الملك العادل النجاشي قد منح المسلمين حق اللجوء، وضمن لهم الأمن والسلامة. إلا أن هذا الأمر أزعج مشركي مكة، فأرسلوا وفدًا يطالبون النجاشي بإعادة المسلمين، وأدلى الوفد بمجموعة من الادعاءات ضدهم. وعندما طلب النجاشي من جعفر بن أبي طالب الدفاع عن المسلمين، دافع دفاعًا شجاعًا وبمهارة كبيرة، وأوضح في بضع كلمات جوهر الإسلام وسلوك المشركين إذ قال:

"أيها الملك، كنا قومًا جاهلين، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونرتكب الفواحش، لا نراعي حقوق القرابة، ولا نعرف للجيران حقًا. وكان القوي منا يظلم الضعيف. فكنا على هذا الحال حتى بعث الله لنا رسولًا نعرف صدقه وأمانته ونسبه. فدعانا إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الأصنام، وأمرنا بالصدق في الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء. ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات. وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. فصدَّقناه واتبعناه فيما جاء به من عند الله، فعبدنا الله وحده ولم نشرك به شيئًا. وحرمنا ما حرم علينا، وحللنا ما أحل لنا. فعدا علينا قومنا فعذبونا وأرادوا أن نرجع عن ديننا إلى عبادة الأصنام. فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك". (ابن هشام، ١/ ٣٣٦)

ثم تلا جعفر آيات من سورة مريم. تأثر النجاشي بكلماته كثيرًا وأجهش بالبكاء، ثم أسلم لاحقًا. وعندما توفي، صلى النبي ﷺ عليه صلاة الغائب في المدينة.

إن دفاع رجل لم يتعلم في المدارس والمعاهد دفاعًا بهذا المستوى يعجز عن مثله الكثير من المحامين المهرة. ولكنه كان قد تربى في مدرسة النبي ﷺ.

في السنة السادسة من الهجرة، وبعد صلح الحديبية، أرسل النبي ﷺ رسالة إلى النجاشي يطلب فيها أن يرسل المسلمين الموجودين في بلاده إلى المدينة. فخصص النجاشي لهم سفينة وأعادهم إلى بلادهم. وعندما وصل جعفر مع المهاجرين إلى النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر، عبَّر النبي ﷺ عن فرحته وقال: "لا أدري بأيهما أفرح، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟" ثم احتضنه وقبَّله بين عينيه.

وفي السنة الثامنة من الهجرة، أرسل النبي ﷺ جيشًا إلى الشام، وعيّن زيدًا بن حارثة قائدًا لهذا الجيش. وأوصى أنه إذا استشهد زيد، أن يقود جعفر بن أبي طالب الجيش، وإذا استشهد جعفر، أن يكون عبد الله بن رواحة القائد. واستشهد القادة الثلاثة في المعركة. قاتل جعفر بشجاعة، وخلال الهجوم قطعت ذراعَاه. فأخبر النبي ﷺ أن الله قد منح جعفر جناحين مكان ذراعيه، يطير بهما في الجنة. ولهذا السبب لقب بـ "الطيَّار" و"ذو الجناحين".

كان جعفر الذي استشهد في سن الأربعين يحمل لقب "ذو الهجرتين" لأنه هاجر إلى الحبشة ولم يعد إلى مكة بعد العودة، بل توجه مباشرة إلى المدينة. وكان يُعرف أيضًا بـ "أبو المساكين" لأنه كان دائمًا يعتني بالفقراء. يُقال إنه كان أكرم الناس بعد النبي ﷺ.

أما ابنه عبد الله بن جعفر، فقد ورث عن أبيه الصفات الحميدة. وُلد عبد الله في الحبشة وكان أول طفل مسلم يولد هناك. وعندما عاد إلى المدينة مع أهله، كان عمره سبع سنوات. في هذا العمر الصغير بايع النبي صلى الله عليه وسلم. وبعد استشهاد أبيه في معركة مؤتة، أبدى الرسول ﷺ اهتمامًا كبيرًا به. كان عبد الله في العاشرة من عمره عندما توفي النبي ﷺ. وكان الذي نفَّذ حكم القصاص في ابن ملجم، قاتِل علي بن أبي طالب.

كان عبد الله بن جعفر معروفًا بسخائه، وكان يُلقب بـ "بحر الجود" و"قطب السخاء". وتُروى عنه قصة شهيرة تبرز كرمه:

إذ نزل عبد الله في يوم حار في بستان نخيل، وبينما كان يستريح، رأى عبد الله عبدًا يعمل في البستان قد أُحضِر له ثلاث قطع من الخبز. وبينما كان العبد على وشك أكل إحدى القطع، اقترب منه كلب يظهر عليه الجوع الشديد. فأعطى العبد الكلبَ قطعة الخبز الأولى، فأكلها الكلب فورًا. ثم أعطاه العبد القطعة الثانية، وأكلها الكلب أيضًا بسرعة. وعندما لاحظ العبد أن الكلب ما زال جائعًا، وضع أمامه القطعة الثالثة أيضًا.

بعد ذلك، عاد العبد إلى عمله، ورأى عبد الله ما حدث من بعيد. فاقترب من العبد وسأله: "أيها العبد، كم كان طعامك اليوم؟" فأجاب العبد بخجل: "كانت هذه الثلاث قطع من الخبز". فسأله عبد الله: "لماذا لم تترك لنفسك شيئًا؟" فأجاب العبد: "رأيت أن الكلب كان جائعًا جدًا، فلم أستطع أن أتركه جائعًا". فسأله عبد الله: "وماذا ستأكل الآن؟ لقد أعطيت كل خبزك للكلب!" فرد العبد: "سأصوم".

وبعد ذلك، سأل عبد الله العبد عن مكان بيت سيده. ثم ذهب واشترى البستان من سيد العبد ومعه العبد أيضًا. وعندما عاد إلى البستان، أخبر العبد أنه اشتراه وحرره، وأهداه البستان.

عندما سُئل عبد الله بن جعفر إن كان يعرف شخصًا أكرم منه، حكى هذه القصة وقال إن العبد كان أكرم منه. فقال له الناس: "لكنه أعطى الكلب ثلاث قطع من الخبز فقط، أما أنت فقد أعتقته وأهديته البستان!" فرد عبد الله بجواب مذهل: "لكن العبد أعطى كل ما يملك، ولم يترك لنفسه شيئًا. أما أنا، فقد أعطيت جزءًا مما أملك".

ينبغي نقل هذه القصة المؤثرة إلى الأجيال الجديدة، لا سيما في هذا الزمن الذي يغلب عليه الطابع المادي. فمثل هذه القصص يمكن أن تحيي المشاعر الإنسانية وتعيد للأذهان القيم الإنسانية العظيمة.

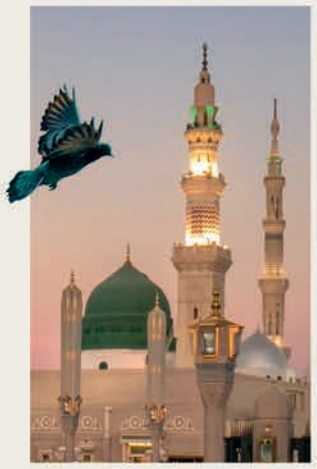

قيمة الإنسان تُقاس بالمُثُل العليا التي يمتلكها، وبالقلب المليء بالرحمة، والضمير منبع الرأفة والشفقة. شجاعة جعفر بن أبي طالب وجرأته وبراعته في الدفاع عن إيمانه واستمراره في القتال رغم قطع ذراعيه وتلقيه مئات الجروح قد تبدو حكاية خيالية للذين يفتقرون إلى هذه الروح. ولكن هذه هي لوحات شرف الإنسانية.

القلب المتحول إلى تكية

الدكتور. آدم أركول

في كل إنسان يوجد قلب. ولكن هل كل قلب هو "قلب" بمعناه الحقيقي؟

في هذا المقال، سنتحدث عن القلوب التي تحولت إلى تكايا وسنسعى لفهم طريق تحويل القلب إلى تكية من خلال تعابير وإشارات العارفين.

يعد "دخول القلب" وإيجاد مكان فيه أمرًا مهمًا في التربية المعنوية. لكن هذا القلب ليس قلبًا عاديًا، بل هو قلوب العارفين والكاملين والصالحين. والفرق بين قلوب العارفين وقلوب غيرهم كالفرق بين السماء والأرض كما يقول مولانا جلال الدين الرومي رحمه الله.

يقول مولانا جلال الدين الرومي:

"أنت تقول: 'لدي قلب'، نعم، تقول ذلك، لكن القلب يكون فوق العرش، بينما أنت في الأسفل، غارق في الدنايا. يعلم الجميع أن هناك ماء في الطين، ولكن لا يمكن الوضوء بهذا الماء. في الطين يوجد ماء؛ لكنه مغلوب عليه في الطين وضائع فيه. لا يمكنك أن تقول عن قلبك: 'هذا قلب'، لأن قلبك قد استسلم للأماني الدنيئة، والشهوة، والغضب، والطموح في المنصب، ورغبات الدنيا، وضاع بين هذه الأمور. القلوب التي هي فوق السماوات هي قلوب الأنبياء أو العارفين والصالحين. قلوبهم قد تطهرت من الطين، أي من الرغبات الدنيئة والمعاصي، وأصبحت نقية وصافية. ومع زيادة الفرح المعنوي، ارتفعت وتدفقت".

يقول عبد القادر الجيلاني رحمه الله:

"القلب الذي تطهَّر ممَّا سوى الله يصبح كعبة لطالبي معرفة الله"، مشيرًا إلى أن ليس كل قلب يحظى بشرف أن يكون كعبة. ويوضح محمد أسعد أربلي (ت. ١٣٥٠/ ١٩٣١) هذه الحقيقة قائلًا:

"الإنسان لا يمكن أن يكون قلبه عرش الرحمن حتى يصبح مؤمنًا كاملًا أو وليًّا فاضلا".

إنَّ تحول القلوب إلى دور للعبادة لا يتحقق إلا من خلال التزكية والتزين بالفضائل. فبأحكام الإيمان والإسلام تُقام أعمدة "تكية العبادة" للقلب، وتُبنى جدرانه، وتُزيّن بروح الإحسان. ومع الاستمرار في التوجه إلى الله (بالإنابة، والأوبة، والتبتل) يتحول قصر القلب إلى مرآة للتجليات الإلهية والأسرار الربانية. ومع هذا التوسع، تصبح هذه القلوب قادرةً على فتح أبوابها لجميع الخلق بقولها: "تعالَ، مهما كنت".

والصوفيون الذين يرون هذه القلوب على أنها كنوز روحية على الأرض ومستودعات لأسرار الله، نصحوا الذين يرغبون في الوصول إلى الله أن يدخلوا هذه القلوب. لهذا يقول الصالحون وأهل الله:

"لا تخرجونا من قلوبكم، امنحونا مكانًا في قصر قلوبكم"،

ويتوقعون بركة ورحمة من إيجاد مكان في هذه القلوب. حتى إن بعض الصوفيين فسَّروا الآية التي تخاطب النفس المطمئنة في سورة الفجر:

(فَادْخُلِي فِي عِبَادِي) (الفجر ٨٩/ ٢٩)

بمعنى: "ادخلي في قلوبهم، أي اكسبي رضاهم".

ويوضح إبراهيم حقي أرزرومي في ديوانه خصائص القلب الذي أصبح تكية بتحقيق تجليات الرحمة الخاصة من الله سبحانه وتعالى:

"في عالم القلب، هناك جنة لله. هناك مستقر لروح العاشقين في ذلك البستان.

يجد أهل القلوب الورد والبستان دائمًا في القلب. يترنح العقل من رائحة هذا البستان الطيبة ويصبح مفتونًا بها.

العارف لا يميل إلى أشياء أخرى، بل يفر من كل شيء غير الله. يمكنه بقلبه التجول في العالم بأسره في لحظة. هذا السائح الذي يمتلك القلم هو سائح مختلف. يا حقي! لا تخشَ ولا تأمل في أي شيء غير الله، لأن خيمة ملك الحب موجودة في حرم القلب".

غير أنَّ مَن لا يمتلكون قلبًا على هذا المستوى من الصفاء غالبًا ما يولون الشكل والمظاهر الخارجية أهمية كبيرة. في حين أنَّ المظاهر الخارجية المزخرفة في كثيرٍ من الأحيان، إن لم يكن دائمًا، تكون محاولةً لإخفاء الخراب الداخلي. يقول قُشَادلي إبراهيم الخلوتي رحمه الله في رسالة كتبها إلى أحد خلفائه:

"أصبح التصوف تاجًا وعباءة

واحسرتاه! لقد أُهدرت المعرفة".

يشير هذا البيت إلى أنَّ التصوف آنذاك بدأ يولي أهميةً متزايدةً للرموز الخارجية، وهذا قد يؤدي إلى الابتعاد عن الحكمة الداخلية. إنَّ تحول القلوب إلى دور للعبادة لا يتحقق إلا من خلال التزكية والتزين بالفضائل. فبأحكام الإيمان والإسلام تُقام أعمدة "تكية العبادة" للقلب، وتُبنى جدرانه، وتُزيّن بروح الإحسان. ومع الاستمرار في التوجه إلى الله (بالإنابة، والأوبة، والتبتل) يتحول قصر القلب إلى مرآة للتجليات الإلهية والأسرار الربانية. ومع هذا التوسع، تصبح هذه القلوب قادرةً على فتح أبوابها لجميع الخلق بقولها: "تعالَ، مهما كنت".

هذه القلوب تعفو، وتُعطي بسخاء، وتستر العيوب، وتتحلى بالمحبة والرحمة. وقد توسعت ألفتها وارتباطها لتشمل جميع المخلوقات. وأصبح الإيثار والكرم جزءًا لا يتجزأ من طبيعتها الأصلية. لقد تحررت من الأنانية والانشغال بالذات، وانصرفت بهمّةٍ عالية إلى معالجة هموم الآخرين.

سر الإنسان هو سر القلب

يقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس، ٥٧]

طوبى لنا، فقد تعلمنا أن في دين الإسلام علاجًا لكل المشكلات، وأن كل خسارة هي مكسب، وأن لكل مرض شفاء. وطوبى لنا، تعلمنا أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم تصل إلى الشفاء بنور الله.

وطوبى لنا، نشهد على بشائر الإسلام: "المؤمن مرآة المؤمن"، "موتوا قبل أن تموتوا"، "الموت هو يوم عرس". طوبى لنا، نحن في دائرة واحدة، ونسجد لرب واحد في الصلاة. طوبى لنا، تعلمنا أن الإسلام يمنحنا الخلود. تعلمنا فن الحب، وكيف نعيش بهذا الفن. وصلنا إلى شرف السير في طريق معرفة الذات وأن نكون من بين أولئك الذين يتجسد فيهم القرآن الحي. تعلمنا فن البكاء من خشية الله...تعلمنا كيف نتخلص من الخوف من الخسارة والموت، وكيف نهرب من سجن الوجود. تعلمنا فن تحمل الألم، وحبًّا غير مشروط.

طوبى لنا، تعلمنا أن الحصول على النور الإلهي من خلال العبادة هو نصيب. قيل للحسن البصري رحمه الله التابعي الجليل: ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوهًا؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره.

طوبى لنا، الآخرة تأتي إلينا. لا يمكننا أن نتوغل في الدين، ولكن الدين يتوغل فينا. يوضح لنا محيي الدين بن عربي هذا بقوله: "ليس الإنسان هو الذي يجلس في القرآن، بل القرآن هو الذي يسكن في الإنسان، الكلمات الإلهية تحتضن العارف بالله حتى يصبح القرآن طبعه".

إذا اختار الإنسان الآخرة، وزرع بذور الآخرة في الدنيا، وأراد الصعود إلى المعراج، فإن الآخرة ستأتي إليه. وإذا وهب الإنسان عقله وقلبه إلى مالكه الحقيقي، فإن الحقيقة ستتغلغل وتسكن فيه. رمضان يدخل في كل جانب من جوانب حياتنا ويقدسها. يقربنا ربنا العظيم إليه، ويدعونا إلى مشاهدة جماله، ويدعونا إلى جنة القرب. ويمنح أمة محمد شرفًا عظيمًا لمدة ثلاثين يومًا.

طوبى لنا، وصلنا إلى شرف أن نكون من أمة سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم، ونسير على طريقه. لا يمكن مقارنة أي نعمة نالها الإنسان بشرف أن نكون من أمته ﷺ.

طوبى لنا، بشَّرنا النبي ﷺ وأرشدنا في قوله: "إنْ قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل". حتى عند قيام الساعة، لا يتوقف المؤمن عن فعل الخير، بل يستمر في السعي والنضال.

طوبى لنا، بشرنا النبي ﷺ أنه لا يوجد موت بلا بعث، ولا تضحية بلا حياة جديدة، ولا فقر بلا غنى، ولا فناء بلا خلود.

طوبى لنا، فالروح المستنيرة ستُقدِّر سعادة الحرية التي اكتسبتها وستتحرر من سجن الجسد. إن غنى الروح هو نور الإحسان، وأن تكون إنسانًا كاملًا يكمن في كنز الحياء الخالص وفي كمال العبودية. هذا هو السر السامي لقلب إنسان ينشر المحبة بلا حدود أو شروط. هذا هو الجمال الأسمى، جمال الوجود.

نحن في دين يُقال فيه:

"اللهم أحيني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين".

نحن في دين أتباعه لا تحرقهم النار، ولا يجرحهم السيف، ولا يصيبهم العمى يوم القيامة.

في الحديث الشريف، قال رسول الله ﷺ:

"ابغوني في الضعفاء، فإنما تنصرون، وترزقون بضعفائكم".

نحن في دين سيدنا بلال الذي تعرض لتعذيب لا يُطاق، لكنه لم يتوقف عن قول "أحد أحد".

لقد حظيت أمة محمد ﷺ بكمال النعم الإلهية، فنالت الكمال بفضل "الصراط المستقيم"، ونالت أعلى مراتب التبعية، وحظيت بكمال العبودية، ووصلت إلى أعلى مقام، وهو خلافة الله في الأرض. كما وصلت إلى "البقاء بالله"، الثمرة النهائية للحياة الروحية. وفُتحت لها أعلى قمم التفكر، وظهرت فيها ذروة التضحية، وحظيت بأعلى درجات الديناميكية التي يمثلها "سنة رسول الله". الإسلام دين يعتمد على سنة رسول الله ﷺ، ولذلك فهو دين متدفق، مستمر، دائم، حيوي، ونظام تعليمي في أعلى مستوياته.

وصلت شريعة الإسلام إلى الكمال، فلا تهتز ولا تتغير. وعزز رسول الله ﷺ الأخلاق العظيمة التي جاء بها، بكلماته وأفعاله.

ومع مجيء الإسلام، أصبح من الممكن تحقيق الكمال في قلب الإنسان. الكعبة الحقيقية هي قلب المؤمن. وهذه الحكمة توحد بين العوالم الظاهرة والباطنة، وتجعل المحب يلتقي بمحبوبه، وتوصل العابد إلى معبوده. تلتقي الكعبة المادية في مكة مع كعبة القلب، وتلتقي حدائق الجنة المادية في المدينة مع حدائق القلب.

جعل الله القلب عالمًا كبيرًا، لأنه جعله مسكنًا له. القلب هو مركز الوعي الأساسي للإنسان، وهو حقيقة روحية مرتبطة مباشرة بالله.

وسر الإنسان يكمن في سر القلب. ومن يعيش كنوز القلب يجد الحياة، ويحيا، ويجد قوة البعث، ويحتفل بوجوده. القلب هو الإنسان ذاته. وجمال القلب يتجاوز كل شيء. عندما يولد الحب من تسليم القلب، يفيض القلب بنوره، ويبدأ في اللمعان بشغف وحب. القلب يملك شجاعة لا حدود لها. غنى القلب يحل كل الصعوبات، ويتجاوز كل العقبات، ويواجه كل الامتحانات. يطرد القوى الشريرة، ويبدد الظلم ويزيله. عندما تتدخل قوة القلب، يتلاشى الزيف والفساد والظلم والوحشية. أمام نور القلب يُهزَم الشيطان.

اقرأ وتمعن

عندما يولد الحب من تسليم القلب، يفيض القلب بنوره، ويبدأ في اللمعان بشغف وحب. القلب يملك شجاعة لا حدود لها. غنى القلب يحل كل الصعوبات، ويتجاوز كل العقبات، ويواجه كل الامتحانات. يطرد القوى الشريرة، ويبدد الظلم ويزيله.

الأستاذة: محمد بيوكموتو

آداب الفتوى ومسؤوليتها

تُعد الفتوى تعبيرًا عن مراد الله ﷻ بخصوص المسألة المطروحة وكيفية العمل بها، فهي تمثل الكلام والحُكم باسم الله.

خلق الله تعالى الناس على صنفين: الذين يعلمون والذين لا يعلمون. فمن جهة هناك أهل العلم والمتخصصون، ومن جهة أخرى هناك من يجب عليه السؤال للتعلم والعمل. وهذا لا ينطبق فقط على جانب العلم والأسئلة والإجابات، بل يظهر لنا أيضًا في سير الحياة الطبيعي. وبيَّن الله تعالى أنه خلق الناس بقدرات مادية مختلفة ليتمكنوا من تلبية احتياجات بعضهم البعض ولتتوازن الأمور بينهم (انظر: الزخرف/ ٣٢).

موضوع الفتوى هو من مجالات التخصص التي يشغلها العلماء الذين ركزوا جهودهم على العلوم الإسلامية. فالفتوى تعني الجواب عن مسألة تتعلق بالشريعة من مفتٍ وصل إلى درجة الاجتهاد. ولذلك تُعد الفتوى تعبيرا عن مراد الله سبحانه وتعالى بخصوص المسألة المطروحة وكيفية العمل بها، فهي تمثل الكلام والحُكم باسم الله. ولهذا أطلق ابن القيم الجوزية على كتابه المتعلق بالفتاوى عنوان "إعلام الموقعين عن رب العالمين".

ويروي أحد طلاب الإمام مالك عن حال إمامه أثناء الفتوى، ويصف كيف كان الإمام مالك يضع نفسه بين الجنة والنار أثناء الفتوى. ومن شدة خطورة هذا الأمر، ذكر الشاطبي أن "المفتي هو كالنبي يخبر عن الله، فيصدر حكم الشريعة على أفعال المكلفين بناءً على اجتهاده، وهو وريث النبي في هذا الشأن".

وبسبب هذا الخطر والدقة، كان كثير من الصحابة والعلماء التابعين والمجتهدين يترددون في إصدار الفتاوى. حتى وإن كانوا مؤهلين لذلك، فإنهم كانوا يحجمون عن تحمل المسؤولية لئلا يُحاسبوا على فتواهم، لا سيما عندما يكون هناك مفتون آخرون مؤهلون يمكنهم القيام بهذه المهمة. ووراء هذا التردد كانت تحذيرات النبي ﷺ، فقد كانوا يخشون الله في هذا الشأن. وكما قال النبي ﷺ في حديثه إن الملائكة تلعن الشخص الذي يصدر فتوى بدون علم، وأشار في حديث آخر إلى أن من سيتعرضون لأشد العذاب يوم القيامة هم: الذين قتلوا الأنبياء، والذين ضللوا الناس بفتاوى دون علم، وصانعو التماثيل.

في هذا العصر الذي يمكن فيه الوصول إلى كل شيء بسرعة وسهولة، أصبح الناس يعتقدون أنهم يعرفون كل شيء. فلم يعد الناس يلجؤون إلى أهل الاختصاص، بل يعتمدون على المعلومات التي يجدونها على الإنترنت أو يشاهدونها في برامج التلفاز أو يسمعونها من مصادر غير موثوقة. وبدأ بعض من الذين يحملون شهادات أكاديمية مثل "بروفيسور" أو "أستاذ مساعد" بالجامعة في الاعتقاد

بأنه يمكنهم إصدار الفتاوى في جميع المجالات، بينما في الحقيقة الحصول على شهادة لا يعني بالضرورة الأهلية لإصدار الفتوى.

كتابة الأطروحة تجعل الشخص متخصصًا في مجال معين؛ ولكن ليس في كل المجالات. لذلك، وضع المجتهدون شروطًا معينة لإصدار الفتوى، ولم يجيزوا سؤال الذين لا تتوافر فيهم هذه الشروط ولا السماح لهم بإصدار الفتاوى.

قبل الانتقال إلى هذه الشروط، يجب أن نذكر أن التخصصات مثل الهندسة، والطب، والتدريس، والبيطرة مهمة جدًا، وبنفس القدر الذي يُعد فيه التحدث وإصدار الأحكام في هذه المجالات من قِبل أشخاص لم يدرسوا فيها، أمرًا غير أخلاقي وغير منطقي، فإن إصدار الفتاوى أو الأحكام في مسائل الدين مثل التفسير، والفقه، والحديث، والعقائد، بناءً على قراءة بضعة كتب هو تصرف مرفوض ويتعارض مع الأخلاق والدقة العلمية.

ونركز هنا على مغالطة مفادها "هذا الدين هو دين الجميع، والقرآن نزل لنا جميعًا، لذلك يمكن لأي شخص فهم القرآن والتحدث عنه". لا شك أنه يمكن لأي شخص قراءة القرآن والحديث والكتب الفقهية، ولكن أن يرى نفسه مفسرًا للقرآن أو متحدثًا عن الحديث بناءً على قراءة كتاب لمفسِّر معين، أو أن يعتقد نفسه الإمام البخاري أو مسلم بعد قراءة كتاب حديث، أو أن يظن نفسه أبا حنيفة أو الإمام الشافعي بعد قراءة كتاب فقهي، فهذا يُعد مرضًا وبُعدًا عن المنطق.

لهذا السبب شدد المجتهدون على أن الشخص الذي يُصدر الفتوى يجب أن يتمتع بصفات شخصية وعلمية معينة. فعلى سبيل المثال، قال أبو حنيفة بوضوح: "لا يجوز لشخص لا يعرف دليل اجتهادنا أن يُفتي برأينا". وأشار تلميذه أبو يوسف إلى أن الذي لا يعرف آيات الأحكام وأحاديث الأحكام، وكذلك مسائل النسخ والمنسوخ، وأقوال الصحابة، وأساليب البيان، والمسائل المتشابهة، لا يجوز له إصدار الفتوى.

كما يجب على من يطلب الفتوى أن يتحرى الذين يمتلكون التقوى والعلم والذين يمكن الاعتماد عليهم في الفتوى. فلا يجوز للمسلم أن يعتمد على المعلومات التي يجدها على الإنترنت أو التي يسمعها من برامج التلفاز، ولا أن يتنقل بين العلماء بحثًا عن الفتوى التي تناسب رغباته، ويتبع أولئك الذين يقدمون له الفتوى التي يرغب فيها على الرغم من معرفته بنقص علمهم وتقواهم.

في النهاية، لكي يستطيع الشخص إصدار الفتوى، يجب أن: يعرف جيدًا مذهب المجتهد الذي يفتي به، ويتأكد من صحة الآراء المنسوبة إليه. وإذا لم يكن المفتي قادرًا على معرفة جميع الأدلة التي تعتمد عليها آراء مذهبه، ولم يكن لديه الخبرة الكافية لاختيار الأدلة الصحيحة، فلا يجوز له نقل رأي الإمام من مذهبه مباشرةً أو استخدام أي اجتهاد شخصية.

ويجب أن يكون ملمًّا بعادات وتقاليد عصره، ويصدر الفتوى بناءً على هذه العادات بشرط ألا تتعارض مع الشريعة. إذا كانت الفتوى تعتمد على العرف والعادة، فيجب أن يعرف العرف المتعلق بهذه الفتوى جيدًا.

ويجب أن تكون لديه الخلفية العلمية التي تمكنه من فهم وتحليل النصوص الفقهية، ويجب أن يكون قد تلقى العلم من عالم مؤهل.

وفي حال وجود روايات متعددة عن الإمام في مذهبه، يجب أن يعرف الرأي المرجح ولا يفتي برأي تخلى عنه المجتهد.

ويجب أن تكون لديه المهارة والقدرة الفقهية على الربط بين السؤال المطروح وبين النصوص ذات الصلة.

فالشخص الذي لا تتوفر فيه هذه الشروط لا يجوز له الاجتهاد أو اتخاذ أي مبادرة شخصية أو نقل أي فتوى من كتاب دون التحقق من صحتها. فالأحكام التي كلفنا الله بها ليست سهلة أو بسيطة لكي نتعلمها أو ننقلها أو نصدر الفتوى بشأنها بسهولة ودون جهد.

من دروس
الشيخ محمود سامي رمضان أوغلو

القلب السليم

يقول الله تعالى:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء، ٨٨-٨٩]

القلب السليم هو القلب الذي تطهر من الأخلاق الذميمة مثل الكبر والحسد وحب المال والجاه. يخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي يوجد في قلبه ذرة من الكبر لن يدخل الجنة حتى يحترق في نار جهنم ويتطهر:

"لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر".

فلن يكون القلب سليمًا حتى يتطهر من الكبر. عبدَ إبليس اللهَ سنوات طويلة، إلا أنه بسبب كبره طُرد. كذلك، حب المال في القلب يمنع المؤمنين من عبادة الله تعالى. ومن أمراض القلب أيضًا حب الدنيا. كما ورد في الحديث الشريف:

"مَن كانت الدنيا همه، فرَّق الله عليه أمره".

وقت صلاة الفجر، ووقت السحر، هو وقت العبادة والدعاء والتضرع لله تعالى. فانشغال قلب المؤمن بقلق الدنيا وحبها في هذا الوقت يعد إعراضًا قلبًا عن الله تعالى.

حب الدنيا رأس كل خطيئة. وحب الدنيا من أعظم الكبائر. وكما هو ملاحظ، بسبب حب الدنيا الشديد، يرتكب الناس جميع المحرمات. وقد وصف أهل الحقيقة الدنيا بهذا الوصف:

"ما هي الدنيا؟ الدنيا هي ما يلهي الإنسان عن الله تعالى. ليس الذهب ولا الفضة ولا الأولاد والأهل دنيا، إلا إذا كانت تمنع الإنسان عن عبادة الله تعالى. ما لم تشغل القلب عن محبة الله وعبادته، فهي ليست دنيا". وكما قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله: "المال والذهب والفضة جائز أن يكون في الجيب، والقصر، والبيت، والمتجر. لكن لا يجوز أن يكون في القلب. قلب المؤمن هو محلُّ نظر الله تعالى".

ونظر الله تعالى دائمًا إلى قلوب المؤمنين. كما ورد في الحديث الشريف:

"إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم".

وفي حديث رواه خالد بن الوليد رضي الله عنه، جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني سائلك عما في الدنيا والآخرة، فقال له: سل عما بدا لك، قال: يا نبي الله أحب أن أكون أعلم الناس؟ قال: "اتق الله تكن أعلم الناس"، فقال: أحب أن أكون أغنى الناس؟ قال: "كن قنعًا تكن أغنى الناس". قال أحب أن أكون خير الناس؟ فقال: "خير الناس من ينفع الناس فكن نافعًا لهم". فقال: أحب أن أكون أعدل الناس؟ قال: "أحب للناس ما تحب لنفسك تكن أعدل الناس". قال: أحب أن أكون أخص الناس إلى الله تعالى؟ قال: "أكثر ذكر الله تكن أخص العباد إلى الله تعالى". قال: أحب أن أكون من المحسنين؟ قال: "اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك". قال: أحب أن يكمل إيماني؟ قال: "حسن خلقك يكمل إيمانك"..."

من دروس
الشيخ موسى طوبّاش

الذكر بالقلب مقياس الإيمان

يقول الله تعالى:

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى. قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا. قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى) [طه، ١٢٤-١٢٦]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره كمثل الحي والميت".

كان الشيخ الجليل سامي أفندي رحمه الله يتحدث كثيرًا عن الذكر، وكان يكرر هذه الآية الكريمة والحديث الشريف كل يوم. يظهر في هذه الآية الشريفة مدى شدة العقوبة التي سيتعرض لها من ينسى الله ويعرض عن ذكره. وفي الحديث الشريف تشبيه للذاكر بالحي، ولغير الذاكر الله بالميت من الناحية الروحية، وإبراز للفارق الكبير بينهما.

الذكر نعمة عظيمة يمنحها الله تعالى لعباده الذين يحبهم، وهي أكبر نعمة يمكن تصورها. الذكر هو مقياس مهم للإيمان والمحبة في القلب. فمن يحب، يذكر محبوبه كثيرًا، يذكره ليل نهار دون انقطاع، حتى في الحب المجازي.

إذا دخل حب الله القلبَ، فلا يبقى فيه شيء آخر سوى ذكر الله، حتى الحب المجازي الكبير يختفي. ونحن- عبادَ الله- هل يمكننا ألا نذكر الله الذي منحنا كل شيء بلا مقابل؟ حتى هذا الذكر هو بفضله وكرمه.

الإنسان مكلف دائمًا بذكر الله تعالى. يجب عليه أن يشغل لسانه وقلبه بذكر ربه. والله تعالى كرَّم الإنسان ليس لأكله وشربه ونومه مثل الحيوانات، بل كرَّمه لروحه وجعله خليفة له. فالعاقل يحمد الله ويشكره دائمًا على هذا التشريف، ويؤدي واجب العبادة بجدية واحترام، ويجتهد كي لا يُحرم من ذكر الله ولو لحظة.

من وُفِّق للذكر نال كل شيء، ومن حُرِم منه خسر كل شيء. ومن وصل إلى ذكر الله، وصل إلى الله تعالى. ومن استطاع أن يذكر الله تعالى دائمًا بقلبه، حصل على اليقين، أي الإيمان القوي، وأحب ربه العظيم بعشق كبير. وكلما استمرت حال الذكر، انفتحت له الطرق الروحية، وارتفعت الحجب والحواجز. الذكر هو نور القلب، وراحة الروح، وجلاء النفس، ومقياس العقل.

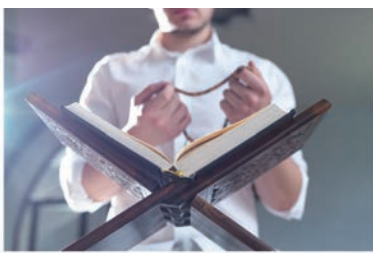

من يداوم على الذكر يكون قلبه عامرًا، وأخلاقه حسنة، وروحه سعيدة. والذي يداوم على ذكر الله يكون مبتهجًا ولا يتأثر بأي حزن. والذين يداومون على الذكر لا يخالطون أهل الدنيا كثيرًا، لأن مخالطة الغافلين تؤدي إلى قسوة القلب.

والقلب محل نظر الله، فمن الضروري الحفاظ عليه والتنبه. يجب مخالطة الصالحين وأهل الروحانية، والجلوس في مجالسهم.

وكلما استمر العبد في الذكر بتعظيم كبير، انفتحت له لطائف قلبه، وظهر حال الذكر في هذه اللطائف. إذا تقدم الشخص في ذلك، فإن الذكر يملأ صدره بالكامل، وإذا اجتهد أكثر، فإن الذكر ينتقل إلى النفس، ثم إلى جميع أعضاء الجسم.

عثمان نوري طوباش

واجبنا تجاه القرآن الكريم والاقتداء به

خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم، وأكرمه بميزات فريدة مثل العقل والإدراك والفهم. والنتيجة الطبيعية والمنطقية لهذه الميزات هي «المسؤولية». وأكبر مسؤولية للإنسان، الذي له مكانة فريدة بين المخلوقات، هي أداء واجبات العبادة تجاه ربه أداءً صحيحًا. ومن أكبر نِعم الله وكرمه على الإنسان في هذا العالم أن جعله مخاطبًا للقرآن الكريم. ولكن لا شك أن هذا يزيد من المسؤوليات، لأن كل نعمة تقابلها مسؤولية، وهذا أمر منطقي لا محالة.

إذا كان الإنسان يستطيع أن يفهم معنى هذه النعمة كما ينبغي، فيمكنه أن يرتقي إلى الدرجات المعنوية العليا. لأن فهم شرف أن يكون الإنسان من «أمة محمد» يقتضي إدراك أهمية هذه المسؤولية. لكن الله تعالى الذي جعل الدنيا «عالم امتحان»، جعل الإنسان مصابًا بـ«الغفلة» كي يتحقق هذا الامتحان.

لذلك يقع بعض الناس في تيار الغفلة ويبتعدون عن فيض القرآن وبركته ونعمه، ويتبعون أهواء نفوسهم ورغباتها. أما العباد الصالحون والمخلصون فيتغلبون على نفوسهم، ويتجاوزون المراحل في طريق التوجه إلى الحق.

والحق أننا إذا قارنَّا حال الأمة التي قضت ألف سنة على الأقل من تاريخ الإسلام الممتد لأربعة عشر

قرنًا قائدةً في رفع كلمة التوحيد بالإسلام، فإننا أمام مشهد يستلزم مسؤولية كبيرة. لكن في مثل هذا الوقت، يكون للتمسك بالإيمان والعمل الصالح قيمة فريدة عظيمة، لأن الجهد والسعي الذي يُبذَل في وقت ضعف قضية ما، يكون أعظم قيمة وأشد أهمية من الجهد الذي يُبذَل في وقت انتصارها.

والله تعالى سخَّرَ للإنسان الكون بكل ما فيه أمانةً، المال، والبنون، والصحة، كلها يجب أن تُعَد ضمن هذا السياق. والإنسان مكلف باستخدام هذه الأمانات والمحافظة عليها بدقة. وأعظم هذه الأمانات هي القرآن الكريم، الذي أنعم الله به على الناس دليل هداية بواسطة حبيبه محمد عليه الصلاة والسلام.

الله تعالى سخَّرَ للإنسان الكون بكل ما فيه أمانةً، المال، والبنون، والصحة، كلها يجب أن تُعَد ضمن هذا السياق. والإنسان مكلف باستخدام هذه الأمانات والمحافظة عليها بدقة. وأعظم هذه الأمانات هي القرآن الكريم، الذي أنعم الله به على الناس دليل هداية بواسطة حبيبه سيدنا محمد ﷺ.

لذلك، ذكر النبي عليه الصلاة والسلام القرآن الكريم أولًا بين الأمانات التي تركها لأمته في حجة الوداع. ثم أشهد أصحابه على أنه أدى الأمانة، ثم دعا الله تعالى ثلاث مرات قائلًا:

«**اللهم اشهد!**» (انظر: مسلم، الحج، ١٤٧؛ أبو داود، المناسك، ٥٦؛ ابن ماجه، المناسك، ٧٦، ٨٤)

ومهما بلغت قدرة الإنسان على التعبير، فإنها تبقى محدودة. وكل من يملك عقلًا ولغة يستطيع أن يفهمه إلى حد ما. ولكن كلام الله تعالى يتميز بسعة لا حدود لها وعمق لا يمكن بلوغ نهايته، وله لحن أزلي ولذة أبدية لا تنضب. ومهما ارتقت علوم البشر، فإنها لن تصل أبدًا إلى أفق الحقائق الموجودة في القرآن الكريم. لأن القرآن الكريم تجلٍ لكلام الحقائق الإلهية في عالم إدراكنا البشري. وكما أن فهم الذات الإلهية محال، فإن الوصول إلى نهاية الحقائق القرآنية أيضًا محال للإدراك البشري. وما التفاسير والترجمات لتوضيح معاني القرآن الكريم إلا غيض من فيض.

يقول مولانا جلال الدين الرومي رحمه الله:

«يمكن كتابة ظاهر القرآن الكريم بكمية من الحبر، أما أسراره فلا تكفي لها البحار والمحيطات».

قال الله تعالى عن أبدية الحقائق القرآنية:

﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ (لقمان، ٢٧)

يخضع الكون من أصغر الذرات إلى أكبر المجرات لنظام إلهي محدد. إلا أن الإنسان هو الذي قد يخرج عن هذا النظام والتناغم الكوني بسبب سوء استخدام الإرادة الجزئية التي مُنحَت له.

والإنسان يفقد توازنه بعدم التمسك بالقرآن، ويسيء إلى كرامته، وينجرف نحو أخطر أنواع الجحود، فتبتلعه دوامات الأهواء والشهوات، ويهلك.

وفي القرآن الكريم مواعظ، وفيه الأوامر والنواهي التي تدعو الإنسان إلى الصواب، وإلى الأخلاق الحميدة، وإلى إدراك العبادة، وإلى السعادة الأبدية.

القرآن الكريم يلفت الأنظار إلى الجمال في الكون، وإلى تجليات القدرة الإلهية، ويثير في نفس المؤمن الإيمان، ويجعل العبد يرتعد بقلب حساس أمام هذا النظام الإلهي.

ولا ريب القرآن الكريم أُنزِل ليمنح المؤمنين سعادة الدنيا والآخرة. وسعادة الإنسان والمجتمع تتحقق بإدراك الحقائق القرآنية بشعور الإيمان. فالقرآن نور إلهي ينير ظاهر الإنسان وباطنه، وهو موعظة ونصيحة مليئة بالحكم والعبر.

إن الكتب السماوية الأخرى التي أكملت مهامها التاريخية تركت مع مرور الزمن مجال الإرشاد، بإذن الله تعالى، إلى عهدة النبي محمد عليه الصلاة والسلام حتى قيام الساعة. ومع الرسالة العامة والأخيرة للنبي عليه الصلاة والسلام سيستمر جو السعادة والروحانية حتى يوم القيامة، ولن يذوق الناس السعادة والراحة الحقيقية إلا بعيش حقائق القرآن الكريم والحقائق المحمدية.

وآيات القرآن عجائب تضيء ظلمات التاريخ، وتفتح ألغازًا لا تُحل، وتهب ربيع الدنيا والآخرة. القرآن الكريم يروي لنا قصص الأمم السابقة وأحداثها، ويمنحنا الكثير من العبر والحكم، ويعطينا دروسًا حياتية واجتماعية عظيمة للمستقبل.

القرآن الكريم لقلب المؤمن بابٌ عظيمٌ يفتح على آفاق عالم التأمل. إنه منبع للحكمة الإلهية التي تمنح شفاء للنفوس النازفة وراحة للقلوب المتعبة. وهو مصدر إلهي يقدم لنا حقيقة الموت المخيفة وسيلةً وحيدةً للقاء الله تعالى. والحياة بعيدًا عن القرآن هي انتحار مطلق في عالم الخلود.

والقرآن الكريم أجمل الكلام، لذلك يبلغ جمال صوت الإنسان كماله في تلاوة القرآن. والقلوب التي تتوق إلى الحقيقة قد تكتفي بأي صوت، إلا صوت القرآن فلا تكتفي به أبدًا، بل تطلبه ولا تشبع! ففي كل نغمة من نغماته تتعطر القلوب الرقيقة بنفحات الجنة.

لكن الغافلين الذين يستمعون إلى صوت القرآن ولا يصلون إلى حكمته، يفقدون البركات المطلوبة في حياة الإنسان. فهؤلاء وأمثالهم يركضون وراء ملذات الدنيا الفانية ويفقدون شرف أن يكونوا عبادًا حقيقيين لله تعالى.

والقرآن الكريم ينير ظلمات الموت التي لا يمكن التغلب عليها بأي معرفة أو عقل. وهكذا يجعل الحقيقةَ المخيفة للموت بوابة سعيدة تفتح على عالم لا نهاية له.

يجهل كثير من الغافلين الذين يدفنون أحبائهم في القبور ما يجري تحت التراب، لأنهم ليسوا على دراية بلغة أشجار السرو التي تُظل القبور. وإذا تلقوا ضربة تحذير بالزلازل والعواصف والمصائب المختلفة، بحثوا عن ملاذ من الكوارث الطبيعية. فما أعجب حال هؤلاء الذين يعيشون في ملك الله، لكنهم إما يعادونه أو يبقون غير مبالين بأوامره.

يقول الله تعالى في هذا الشأن:

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (يس، ٧٧)

إن القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة. والإنسان الذي يعيش بغير القرآن يشبه قبور بعض الأشقياء التي تكون حفرة من حفر النار.

إن السعادة الموعودة للإنسان في الدنيا والآخرة لا تتحقق إلا بالامتثال للقرآن الكريم. وكل حقيقة مخفيةٌ في القرآن، وكل سعادة ظاهرةٌ في الإيمان. وأسعد الناس وأحسنهم هم الذين يجتمعون تحت ظلال القرآن، ويستنيرون بنور الحياة فيه، ويصبحون كأنهم قرآن حي. يقول الله تعالى في وصف النبي عليه الصلاة والسلام:
{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}.
(القلم، ٨)

فهو أشبه بقبر متحرك. أما المؤمن الذي يملأ نورُ القرآن قلبَه فيتفكر في الحقائق الكبرى كل لحظة. فكأن الكلام الإلهي يخاطب قلبه:

«أنت عبد الله، تعيش في ملكه، وتُرزَق برزقه، فاغمر نفسك في حكم القرآن وأسراره، وارحل إلى ربك بقلب سليم!»

ينبغي أن يتجاوز توريث المؤمن لأبنائه الماديات الفانية، إذ يجب أن يكون الميراث الحقيقي هو ثروة الأبدية. وينبغي للوالدَين أن يتركا لأولادهما سعادة لا تزول بدلًا من اللذات الفانية، وإلا سيحاسِب الأولادُ آباءهم يوم الحساب على تقصيرهم في ترك هذا الميراث.

المؤمن الذي يملأ نورُ القرآن قلبَه فيتفكر في الحقائق الكبرى كل لحظة. فكأن الكلام الإلهي يخاطب قلبه: «أنت عبد الله، تعيش في ملكه، وتُرزَق برزقه، فاغمر نفسك في حكم القرآن وأسراره، وارحل إلى ربك بقلب سليم!»

لا خطأ يُظلِم حياةَ الإنسان المعنوية أكبر من إهمال القرآن. وقد ذكر النبي محمد ﷺ أن أعظم الذنوب التي ستواجهها أمته هي نسيان ما تعلموه من القرآن. لذا علينا أن نجهِّز أنفسنا وأبناءنا بحب القرآن الكريم الذي نتعلمه ونسعى للعيش به.

إن الحياة تتكون من مرحلتين، الأولى تتعلق بالدنيا والأخرى بالآخرة. والعلوم الدنيوية تفتقر إلى القدرة على إضاءة حياة الآخرة، أما العلوم الدينية فتقدم محتوى يمكنه أن يضمن السعادة والسلام والراحة في الدنيا والآخرة.

وحياة المجتمع الذي يفتقر إلى روحانية القرآن تشبه كابوسًا بعد نهار مظلم. والذي يفخر بمعرفته الدنيوية ويجادل ضد الحقائق القرآنية لا يدرك أن العقل الذي هو أساس العلوم قد خلقه الله تعالى، وأن بريق أفكاره يحدث بإرادة الله تعالى، فحقائق القرآن تحيط به وبعلومه.

أليس من المؤسف أن نبذل جهدًا كبيرًا لتعليم أولادنا لغات أجنبية ونقارن بين المدارس لنختار الأفضل بينها لهم، ونحن نتجاهل- بل ونستخف أحيانًا- بمعاهد تعليم القرآن؟ إن أعظم نجاح هو أن نترك وراءنا جيلًا صالحًا يدعو لنا ويكون سببًا في فوزنا الأبدي بعد الموت.

يشهد التاريخ على أن الأمم ازدهرت على قدر ما اتبعت القرآن الكريم. وحتى المجتمعات التي لا تقبل القرآن، مثل العالم الغربي اليوم، تدين برفاهيتها الدنيوية وراحتها إلى تطبيقها لبعض من المبادئ القرآنية دون علم.

وعلينا ألا ننسى أن السبب في وجود هذا العَالم هو أن يُعرَف الله تعالى كما ينبغي، وأن تستمر الحياة البشرية في ضوء هذه المعرفة. وهذا يتحقق بالإسلام، لذلك يعد استمرار الإسلام حتى يوم القيامة نتيجة طبيعية لهذه الإرادة الإلهية.

وقد تكون تقلبات في سيادة الإسلام على العالم على مر التاريخ، لكن هذا الدين المبين لا يزول أبدًا. فلا يمكن حجب نور الإسلام، مثلما لا يمكن حجب نور الشمس، لأن الله تعالى تكفَّل بهذا الدين. وزوال سيادة الإسلام تمامًا يعني قيام الساعة. أي إذا انتهى الإسلام، انتهت الحياة الدنيا.

ومع ذلك تتجلى الإرادة الإلهية في هذا العالم على شكل «أسباب». ولا شك أن استمرار الإسلام

وسيادته مرتبطان ببعض الأسباب. ويتجلى العامل الرئيسي في هذه الأسباب في تمسك المؤمنين بالقرآن الكريم، والتحلي بأخلاقه، والالتزام بهديه.

والعامل الأول للخلاص من كل فترة انقطاع في سبيل الحق والحقيقة هو الجهد المبذول في خدمة القرآن الكريم. عصرنا عصر ذو أهمية كبيرة لمثل هذه العزائم والجهود. والخدمة الرئيسية التي يمكن أن تضمن نهضة الأمة وعودتها إلى جوهرها في هذا الوقت هي تعزيز الاهتمام بالقرآن الكريم. أما الإهمال في هذا الأمر فيعني تعريض مستقبلنا ومستقبل أجيالنا ومستقبل الأمة بأكملها للخطر.

وعد الله تعالى بأنه سيتم نوره، لكن الله سيحقق وعده بإتمام نوره بأيدي الناس، لذلك علينا جميعًا أن نكون أهلًا لتحقيق هذا الوعد. فربنا سيتم نوره على أي حال، ولكن الذين يتهاونون في هذه الخدمات سيكونون مسؤولين.

ولا يخفى على المسلم العقاب الإلهي الذي نزل على الثلاثة الذين لم يشاركوا في غزوة تبوك على الرغم من مشاركتهم في جميع الغزوات مع رسول الله عليه الصلاة والسلام. أي إن المقدَّر سيتحقق في كل الأحوال، ولكن الذي لا يؤدي المهام المأمور بها في تحقيق ما هو مقدر سيُسأَل عنها.

لذلك لا بد من أن نبذل جهدًا في سبيل سيادة الإسلام، من أجل أن نؤدي المسؤولية الفردية. وماذا يمكن أن يكون أعلى شرفًا للمؤمن من أن يشارك في هذه الخدمة الإيمانية المجيدة؟ لكن من العبث انتظار العون الإلهي بالأمل دون بذل جهد.

لنرسل أطفالنا إلى المساجد ومعاهد تعليم القرآن الكريم، ولا نسمح لأنفسنا بالانخداع بتقدير المنافع الصغيرة والفانية والمصالح الدنيوية بسبب القلق على المستقبل، ونفقد نعمة القرآن الكريم التي منحها الله لنا. يقول الله تعالى:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران، ٢٦)

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران، ١٨٩)

﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (المنافقون، ٧)

تبيِّن هذه الآيات بوضوح أن القوة الوحيدة التي يمكنها منح الازدهار والمستقبل هي قوة الله سبحانه وتعالى خالق الكون، والحياة الآخرة هي المستقبل الحقيقي، والرضا الإلهي هو الازدهار الحقيقي.

إن الحقائق الموجودة في القرآن الكريم التي تقود الناس إلى السعادة والكمال، وتأخذ الأمم إلى الشرف والعظمة، لا يمكن أن تتغاضى عن الكوارث الكبيرة والعقوبات الثقيلة الناتجة عن إهمالها. فلا ريب أن التصرف بناءً على هذا الفهم هو الواجب الأول لكل مسلم عاقل ذكي.

لا يمكن تصور بؤس أكبر من عداوة القرآن، ولكن الإهمال في خدمته يجعلنا أقرب إلى خانة عداوته. ينجرف الناس اليوم مع تيارات الحداثة السلبية كما تنجرف جذوع الأشجار في السيل، فعلينا أن نبقى

القرآن الكريم هو أكبر تجلٍّ لرحمة الله بالناس، وهو نعمة عظيمة لا يمكن وصفها بكلمات. إنه الترجمان الأكمل والأصح لقوانين الإنسان والكون. إنه دليل الهداية الوحيد الذي نزل من اللوح المحفوظ...والقرآن يدعونا إلى التأمل، ويوقظنا من الغفلة للتفكر. ويجيب عن تساؤلات «ما الإنسان؟ ومن أين جاء؟ وكيف بدأ وجوده؟ ومن علَّمه دقائق القرآن والبيان؟» وأحد أعظم بركات القرآن هو أنه يوقظ الإنسان من داخله، ويقوده إلى محبة ربه.

ثابتين صامدين. وعلينا أن نسعى جاهدين لتعليم القرآن لأهلنا وأقربائنا ومجتمعنا ونشر نوره وبركته، لحماية أنفسنا من الكفر والإلحاد والتنازلات. يجب أن نتذكر دائمًا حاجتنا إلى القرآن الكريم.

إن العيش مع القرآن بصورة دائمة يجعلنا نلتزم بأوامره ونواهيه ونتحلّى بأخلاقه، والتصرف عكس ذلك خسارة كبيرة، وتبديد للمستقبل الأبدي مقابل لذائذ فانية. يقول الله تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد، ٢٤)

لا بد أن يُولي معلمو القرآن الكريم اهتمامًا أكبر لطلابهم في زمننا هذا الذي يغلب على الناس الولع بالماديات. يجب أن يكون قلب الطالب مليئًا بمحبة معلمه. ويجب أن تُغمر القلوب الصغيرة بحب الله ورسوله، ويتجلى فيها جمال الإسلام.

في هذا العالم، حيث نحن جميعًا مسافرون دائمون، لا ينبغي لنا أن نجلس وكأننا سنستقر خالدين في هذه الدنيا. فالأجيال هي قوافل الهجرة إلى الآخرة. والانتقال من هذا العالم إلى عالم الحقيقة هو جوهر الحياة وحقيقتها التي لا مفر منها.

علينا أن نفهم حقيقة أننا في يوم من الأيام سنصبح جزءًا من التراب الذي نسير عليه اليوم، وننظم حياتنا على ضوء هذا الفهم، ولا بد أن ننحني لإيماننا وحبنا العميق للقرآن الكريم. وتقع المسؤولية على الآباء والأمهات في المقام الأول لضمان أن يمتلك الأبناء رؤية ناضجة للحياة وما بعدها. فطوبى لمن يؤدي هذه الخدمة العظيمة تجاه أبنائه والأجيال القادمة، وينال البراءة من المسؤولية تجاه نعمة القرآن الكريم في الميزان الإلهي.

الاقتداء بالقرآن الكريم:

مرَّ عمر بن الخطاب ﷺ بجانب بيت فسمع صاحب البيت يقرأ سورة الطور بصوت عالٍ. ولما وصل إلى الآية:

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ. مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ (الطور، ٧-٨)

نزل عمر من راحلته واتكأ على الجدار لبعض الوقت يستمع. ثم أثَّر فيه الوعيد في الآية تأثيرًا عظيمًا أمرضه فمكث على سريره حينًا.

ومما يجعلنا نتفكر ونتدبر أن عمرًا ﷺ تعلمَ البقرة في اثنتي عشرة سنة فلما ختمها نحر جزورًا. (البيهقي، شعب الإيمان، ٣، ٣٤٦) لأن قراءته للقرآن لم تكن مجرد تلاوة للألفاظ، بل كانت قراءة تفهم وتدبر في الحكم والأسرار الإلهية. والاستفادة الحقيقية من القرآن لا تكون إلا بهذا النوع من القراءة...فالقلوب تتشكل بقدر ما تتشرب من القرآن، وبقدر إخلاصها تتلقى منه. ويختلف هذا النصيب من شخص لآخر، فقد يكون قليلًا أو معتدلًا أو كثيرًا وفقًا لسمو قلب صاحبه.

إن القرآن، الذي يؤثر حتى في الكائنات الأخرى يكشف عن أسراره لمن تحرر من الأنانية وامتزج بالنورانية. فلا بد أن يكون القلب حيًّا بالقرآن لكي ينال لطفه وأسراره.

ولكي يصبح الإنسان قرآنًا حيًّا، يجب أن يتعلم القرآن بأفضل طريقة ويعيشه. وهذا يبدأ بدخول جو علم القرآن، والغوص في بحره المليء بالحِكم، والاعتبار بقصصه، والتغذي من مائدة معرفته، والتوجه إلى أفق الإحسان، والتمسك بسلاح الصبر أمام المصائب، والاستسلام لرضا القضاء الإلهي،

والتشبع من ينبوع التسليم، وارتداء ثوب التضحية، والدخول في قصر المحبة، والتمسك بنهج التوصية بالحق والصبر، وجعل الإنفاق طبعًا أصيلًا، والثبات على الأعمال الصالحة.

فالقلب يصبح حديقة ورود بلا أشواك لينال محبة الله. والذي ينجح في ذلك، أي الذي يصبح قرآنًا حيًّا، يصبح عالِمًا عاملًا، وحكيمًا بليغًا، فينضم إلى قافلة العارفين والصالحين والزاهدين والعاشقين والصادقين.

إن تسليط نور القرآن على كل جانب من جوانب حياتنا وتلقي قلوبنا من كوثره والتوجه نحو الأبدية هو الوسيلة الوحيدة لسعادتنا الأبدية.

ثمة أناس كثيرون لم يشغلوا ألسنتهم وقلوبهم بشيء سوى القرآن، وكانوا يطلبون كل ما يريدونه بقراءة آية من القرآن، وكذلك يجيبون عن كل ما يُسألون بقراءة آية منه، وكانوا مدركين للَّفظ والمعنى. فقد روى عبد الله بن المبارك حال امرأة تحمل هذه الصفات المليئة بالعبر والحكم، فقال:

بينما أنا في الطريق إذ رأيت عجوزًا عليها درع من صوف خمار فقلت: السلام عليك ورحمة الله فقالت: (سلام قولًا من رب رحيم)، فقلت: ماذا تصنعين في هذا المكان؟ قالت: (من يضلل الله فلا هادي له)، فقلت في نفسي إنها ضالة عن الطريق، فقلت لها: إلى أين تريدين؟ فقالت: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى)، فقلت إنها قضت حجتها وهي تريد بيت المقدس، فقلت لها: أنت منذ كم في هذا المكان؟ فقالت: (ثلاث ليال سويًّا)، فقلت: ما أرى معك طعامًا تأكلين؟ قالت: (هو يطعمني ويسقين)، فقلت هل معك ماء تتوضئين؟ فقالت: (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدًا طيبًا).

فقلت لها: لِمَ لا تكلميني مثل ما أكلمك؟ قالت: (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)، فقلت: مِن أي الناس أنت؟ قالت: (ولا تقفُ ما ليس لك به علم إن السمع البصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولًا)، فقلت: هل أخطأت فاجعليني في حل؟ قالت: (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم)، فقلت هل لك أن أحملك على ناقتي فتدركي القافلة؟ فقالت: (وما تفعلوا من خير يعلمه الله)، قال: فأنخت ناقتي فقالت: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم)، فأغمضت عيني عنها، فقلت لها اركبي، فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فتمزق ثوبها فقالت: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم)، فقلت لها اصبري فقالت: (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين).

قال: فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسعى وأصيح فقالت: (واقصد في مشيك واغضض من صوتك)، فجعلت أمشي رويدًا رويدًا وأترنم الشعر فقالت: (فاقرؤوا ما تيسر من القرآن)، فقلت لها: لقد أوتيت خيرًا كثيرًا قالت: (وما يذكَّر إلا أولوا الألباب). فلما مشيت قليلًا قلت ألك زوج؟ قالت: (يا أيها الذين أمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم)، فسكتُّ فلم أكلمها حتى أدركت القافلة، فقلت لها: هذه القافلة فما لك فيها؟ قالت: (المال والبنون زينة الحياة الدنيا)، فعلمت أن لها أولادًا، فقلت: وما شأنهم في الحج؟ قالت: (وعلامات وبالنجم هم يهتدون)، فعلمت أنهم أدلاء الركب فقصدت بهم القباب والعمارات.

كي يصبح الإنسان قرآنًا حيًّا، يجب أن يتعلم القرآن بأفضل طريقة ويعيشه. وهذا يبدأ بدخول جو علم القرآن، والغوص في بحره المليء بالحِكم، والاعتبار بقصصه، والتغذي من مائدة معرفته، والتوجه إلى أفق الإحسان، والتمسك بسلاح الصبر أمام المصائب، والاستسلام لرضا القضاء الإلهي، والتشبع من ينبوع التسليم، وارتداء ثوب التضحية، والدخول في قصر المحبة، والتمسك بنهج التوصية بالحق والصبر.

فقلت: هذه القباب فما لك فيها؟ قالت: (واتخذ الله إبراهيم خليلًا)، (وكلم الله موسى تكليمًا)، (يا يحيى..) فإذا بشبان كأنهم الأقمار واستقر بهم الجلوس. قالت: (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعامًا فليأتكم برزق منه)، فمضى أحدهم فاشترى طعامًا فقدَّموه بين يدي، فقالت: (كلوا واشربوا بما أسلفتم في الأيام الخالية)، قلت: الآن طعامكم عليَّ حرام حتى تخبروني بأمرها، قالوا: هذه أُمُّنا تحج كل عام، لها أربعون سنة لا تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن.

وعن ابن عباس ﷺ أنه قال: "لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله"، فأشار بذلك إلى أن المؤمن الذي يكون قرآنًا حيًّا ينال بركات لا حصر لها من هذا الكتاب العظيم، لذلك يجب أن تكون الحياة والقرآن متداخلين لا ينفصلان.

فالقرآن مليء بالعلم اللامحدود والأسرار والحكمة والمعرفة، كما جاء في قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (لقمان، ٢٧)

القرآن مفتاح لا يعسر عليه فتح أي باب، وهو رحمة لا مثيل لها. والإنسان لا يمكنه الحفاظ على جوهره إلا في جو القرآن الرفيع. وبالقرآن يمكن للإنسان أن يدرك تجليات قدرة الله في الكون، ويصل إلى مرضاة الله بفضل الرقة القلبية والبصيرة.

فالقرآن مدرسة مقدسة تُعلِّم الإنسان كل واجب عظيم. إنه كتاب الحق الذي يُظهِر للإنسان الحكمة والجواهر الإلهية في خلقه، ويساهم في تجلي الجمال الإلهي فيه. فالذي يخضع لما جاء فيه خضوعًا تامًّا يخصص عقله لحقائق الإيمان، وقلبه للمناظر القدسية، ونفسه للسلوك الحميد، وأعضاءه للأعمال الصالحة، فيصبح حقًّا قرآنًا حيًّا. وبذلك يعيش في مناخ القرآن، ويصبح كالشجرة الكبيرة المختبئة في البذرة، والمجرة الكبيرة المختبئة في الذرة، والفرد الذي يحتوي على المجتمع، ويصل إلى مرتبة أسمى من الملائكة، لأنه تشبَّع بأخلاق القرآن، وتحلى بالأخلاق التي يرضى عنها الله ورسوله.

وينبغي هنا أن نوضح أن تمسك المسلم بكتاب الله وتحوله إلى قرآن حي لا يعني تجاهله الأحاديث النبوية الشريفة والسنة النبوية، بل عليه العيش بالكتاب والسنة معًا. فالله تعالى يقول في القرآن الكريم:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر، ٧)

فالتقليل من شأن السنة أو تركها والاقتصار على الفرائض مخالف لروح القرآن، لأن الالتزام بالسنة يعين في إتمام الفرائض، وهي زينة العبادات وجمالها، وتؤثر في قبولها. علينا أن نذكر أن الإسلام قدَّم للبشر مصدرين من النور: القرآن الكريم، وسنة النبي محمد ﷺ.

فيا رب، زين قلوبنا بعلم القرآن الكريم وحكمته ونوره وسروره، واجعلنا من الذين يعيشون الإسلام مثل قرآن حي، ومن عشاق النبي عليه الصلاة والسلام...آمين!...

يا رب، احفظ أمتنا من الفراغ من القرآن، وقلة الإيمان، وزوال الإحسان! ..يا رب، هب لنا حياة الجنة في هذا العالم الفاني بفضل القرآن الكريم!...آمين!

الأستاذ:عبد الله سرت

قال رسول الله ﷺ : "ألا وأنا حبيب الله ولا فخر".

[الترمذي، المناقب، ١/ ٣٦١٦؛ الدارمي، مقدمة، ٨]

طريق الوصول إلى الحق

بعث الله سبحانه وتعالى سيِّد الأنبياء محمدًا صلى الله عليه وسلم برسالة شاملة للبشرية جمعاء. ولتمكينه من أداء هذه الرسالة العظيمة، خصّه بألطاف خاصة منها أن الله تعالى شرح صدره، أي فتح قلبه ووسَّعه. كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الانشراح، ١)، وهذه الآية الكريمة خاصة به صلى الله عليه وسلم.

وقد أورد المفسرون في شرح الصدر رأيين:

– الأول: أن الله تعالى شرح صدره جسديًا، حيث شُق صدره وأُخرِج قلبه وغُسل وأعيد مكانه مملوءًا بالإيمان والحكمة.

– والثاني: أن شرح الصدر يعني الفهم والمعرفة التي تقود إلى الطاعة.

فلمَّا بُعِث النبي صلى الله عليه وسلم للناس والجن جميعًا، شعر في البداية بالصعوبة وانقباض الصدر. لكن الله تعالى أراه من الآيات ما مكنه من تجاوز كل هذه الصعوبات، فأصبح كل شيء آخر صغيرًا في عينيه. وبهذا الشرح، زالت عنه كل الهموم، ولم يبقَ إلا همُّ الدعوة إلى الله. فلم يعد يقلق بشأن معيشة أهله أو مضايقات الناس والجن.

وكان صلى الله عليه وسلم بهذا الانشراح لا يخاف تهديد المشركين ولا يغتر بمناصبهم وأموالهم. وفهم أن شرح الصدر هو معرفة الدنيا بقدرها الحقير ومعرفة قيمة الآخرة.

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية:

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ (الأنعام، ١٢٥).

قالوا: كيف يشرح صدره يا رسول الله؟ قال: "نور يقذف فيه فينشرح له وينفسح له". قالوا: فهل لذلك من إمارة يعرف بها؟ قال: "الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت".

كان صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم منشرحًا على جميع الأمور المهمة. لم يكن يقلق أو يندهش، وكان قلبه مطمئنًا في حالات الضيق والراحة على حد سواء، وكان منشغلًا بأداء واجباته التي كُلِّف بها. (تفسير ألمالي).

أدى سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم، الذي أكرمه الله بهذا الفضل الإلهي العظيم، مهمة الرسالة بأكمل معنى، وكان يعيش تواضعًا لا حدود له وأخلاقًا راقية في تواضعه وانكساره. وفي مجتمعه، كان كل شخص يجد مكانًا في قلبه صلى الله عليه وسلم.

وصف الصحابي الجليل أبو موسى رضي الله عنه حبيب الله صلى الله عليه وسلم قائلًا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار، ويلبس الصوف، ويعتقل الشاة، ويأتي مراعاة الضيف. (الحاكم، ١/ ١٢٩/ ٢٠٥).

إن العلاقة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيمها مع المؤمنين، والتي أخبر بها ربنا الرحمن الرحيم، كانت تتم وفق هذه المعايير الإلهية. كان النبي صلى الله عليه وسلم يعيش حياة مليئة بالتواضع، حيث كان يجالس الفقراء والمحتاجين، ويهتم بجميع همومهم.

أما زعماء المشركين، فلم يكونوا يتنازلون للجلوس مع الفقراء، وكانوا يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم تخصيص مجالس خاصة لا يحضرها الفقراء للتحدث معه. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتمنى أن يدخل هؤلاء الإسلام، وفكر حينًا في قبول طلب المشركين، لكن الله سبحانه وتعالى أنزل قوله:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف، ٢٨).

وكانت هذه الآية ترشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطريق الذي ينبغي أن يسلكه.

عندما نزلت هذه الآية، قام النبي صلى الله عليه وسلم فورًا يبحث عن هؤلاء الصحابة الفقراء، فوجدهم في مؤخرة المسجد النبوي، وهم يذكرون الله. فقال:

"الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات".

ورب العالمين يقول لنبي الرحمة:

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء، ٢١٥).

هذه الآية الجليلة تُفسَّر على أنها دعوة إلى اللين معهم، والاستمرار في صحبتهم، وغض الطرف عن بعض أخطائهم، والتحمل بصبر لأحوالهم غير المحبوبة، ومعاملتهم بالأخلاق الحسنة. تحث الآية على الصبر عليهم مهما كانت الظروف، وتقول: "إن لم يعطوك، فأعطهم. وإن ظلموك، فاغفر لهم. إن قصروا في حق الله، فاعف عنهم واطلب لهم المغفرة، وكن متواضعًا ورحيمًا. تعلم الشفقة وكن كريمًا...".

تشبيه "خفض الجناح" هو كتشبيه الطائر الذي يخفض جناحيه عندما يريد الهبوط. هذا يشير إلى إظهار التواضع واللطف واللين في التعامل مع القريبين والبعيدين على حد سواء، تمامًا كما يهبط الطائر إلى الأرض بلطف عندما يخفض جناحيه.

بهذه الأوامر الإلهية امتلأ قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعة ورحمة كبيرة، حتى إن أولئك الذين ارتكبوا أعظم الجرائم في الجاهلية كانوا يلجؤون إلى قلبه لينالوا الهداية ويجدوا الشفاء المعنوي.

وطوال العصور تبع أولياء الله خُطا النبي صلى الله عليه وسلم، ورأوا في الأخلاق النبوية طريقًا مهمًا للوصول إلى مرضاة الله. يقول عبد القادر الجيلاني: "ما وصلت إلى الله تعالى بقيام ليل، ولا صيام نهار، ولا دراسة علم، ولكن وصلت إلى الله تعالى بالكرم والتواضع وسلامة الصدر".

وفي الأوقات التي يتصارع فيها الناس مع مشاكل مادية ومعنوية كبيرة ويبحثون عن ملاذ الشفقة والرحمة لحل مشكلاتهم، فإن المؤمنين الذين يجعلون من هذه الأخلاق النبوية مقياسًا لحياتهم، سيحصلون على رضا الله، وسيعيشون سعادة اتباع سنة سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم.

اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم.

الأستاذ رمضان معدن

التفكر من العلم

إدراك الذات أم الأنانية؟

الفردية فكرة تقول بأن مصالح الفرد تأتي قبل مصالح المجتمع. وفي المجتمعات الفردية يتمركز نظام القيم حول الفرد. وأصبحت الفردية واحدة من الأسس لفهم الذات خصوصًا في الدول الغربية التي تطورت اقتصاديًا. في المجتمعات التي تتزايد فيها الفردية، يصبح الناس أكثر أنانية ويركزون بشكل أكبر على احتياجاتهم الشخصية. والأفراد الذين ينشؤون في هذه المجتمعات يضعون مصالحهم الشخصية فوق كل شيء، كما يعتقدون أنهم مستقلون عن أي سلطة أسرية، أو اجتماعية، أو دينية. لكن بمرور الوقت يصبحون أيضًا ضحايا للحرية الزائفة التي ينتجها النظام.

يتجه العالم اليوم بشكل متزايد نحو الفردية. في دراسة شملت ٧٨ دولة تم استخدام بعض المؤشرات لتحليل ما إذا كانت الفردية قد زادت أم لا خلال فترة ٥١ عامًا. ووجدت الدراسة أن الفردية زادت عالميًا بنسبة ١٢٪ بين عامي ١٩٦٠ و٢٠١١. كما أن دراسة أجريت في الولايات المتحدة أظهرت نتائج مثيرة للاهتمام من خلال تحليل بعض المؤشرات مثل "معدلات الطلاق"، و"حجم الأسر"، و"الكلمات المستخدمة في الكتب".

في المجتمعات الفردية تكون بنية الأسرة أكثر انفتاحًا وحرية. ولهذا السبب يُتوقع أن تكون معدلات الطلاق أعلى في هذه المجتمعات. في الولايات المتحدة، على سبيل المثال، زادت معدلات الطلاق بشكل ملحوظ من عام ١٩٠٠ حتى عام ٢٠٠٩. ففي عام ١٩٠٠، كان ٧ من بين كل ١٠٠ زوجين يتطلقون، بينما في عام ٢٠٠٩، ارتفع العدد إلى ٥١ من بين كل ١٠٠ زوجين. كما أن حجم الأسر، وهو مؤشر آخر للفردية، تراجع في الولايات المتحدة من متوسط ٥,٦ أفراد في عام ١٨٦٠ إلى ٣ أفراد في عام ٢٠١٢.

كلما زادت الفردية في الثقافة، زادت أيضًا استخدامات ضمائر المتكلم المفرد مثل: "أنا، لي، إلي، ملكي"، بينما تقل استخدامات ضمائر المتكلم الجمع مثل: "نحن، لنا، إلينا، ملكنا". عندما تم تحليل الكتب المنشورة في الولايات المتحدة بين عامي ١٩٦٠ و٢٠٠٨، لوحظ زيادة في استخدام ضمائر المتكلم المفرد. كما أن الكلمات والتعبيرات التي تعكس الفردية، مثل "مستقل، فردي، فريد" و"ركز على نفسك، أنا مميز، أنا الأفضل"، ازدادت استخداماتها في الكتب المنشورة بين عامي ١٩٦٠ و٢٠٠٨. هذه النتائج تقدم إشارات مهمة حول ازدياد الفردية في المجتمعات الأخرى أيضًا.

واليوم، يجعل النظام الحضاري المسيطر في العالم مفهوم الإنسانية غامضًا، ويغذي نقاط ضعفنا البشرية. وفي حين أنه يجعل العالم مكانًا أقل قابلية

للعيش، فإنه يقدم الوهم الذي صنعه من خلال التكنولوجيا والإنترنت حلًّا أو مخرجًا للبشرية.

يقدم أستاذ الفلسفة تيومان دورالي في أحد كتبه ملاحظة ذات معنى كبير، حيث يقول إن النظام الاقتصادي والثقافي المهيمن في العالم يفهم "الأنا" من خلال إطار الأنانية. ويشير إلى أن اللغة الإنجليزية، التي أصبحت وسيلة التواصل الرئيسية في العالم، تكتب ضمير "I" أي "أنا" بحرف كبير دائمًا، بينما تكتب "you" أي "أنت" بحرف صغير، وتأتي بعد "I". ويواصل الأستاذ حديثه قائلًا: "بينما في الألمانية مثلًا، تُعطى الأولوية للضمير "Du" أي "أنت" أو "Sie" أي "أنتم".

اللغة العربية التي هي لغة حضارة تهدف إلى رفع الإنسان إلى مستوى كامل، تفتح آفاقًا مختلفة تمامًا. عندما تتم دراسة الضمائر في اللغة العربية، نجد أن الضمير "هُوَ" يأتي في المقدمة، بينما يأتي ضمير "أنا" في المؤخرة. وأيضًا، عند تصريف الأفعال، تبدأ الجملة معنويًّا بضمير "هو"، مثل "هو ساعد، هو أحب، هو رأى، هو علم". يبدو أن هناك إشارة هنا للارتقاء بالبشر إلى مستوى الإنسانية. في عالمنا اليوم، الذي يشهد ازدياد الفردية والأنانية والعديد من الشرور الأخرى، نحتاج إلى هذه الإشارة أكثر من أي وقت مضى.

ملاحظة: أن يكون الإنسان مدركًا لذاته أمر مرغوب فيه. هذا "الأنا" المطلوب يختلف عن الفردية التي تفرضها الحضارة الحالية. يمكنك أن تسميه "سر أن تكون فردًا" أو "إثبات النضج".

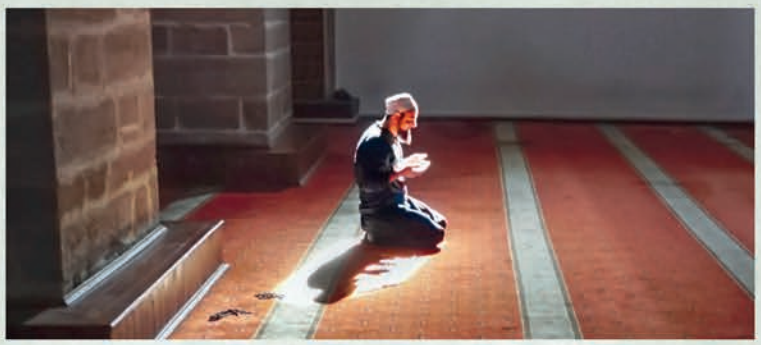

التدين يعزز صحتنا العقلية

في دراسة نُشرت على موقع PubMed، تم تحليل أكثر من ٨٥٠ دراسة تناولت العلاقة بين التدين والصحة العقلية منذ القرن العشرين. ووفقًا للدراسة، تبيَّن أن الأشخاص الذين لديهم ارتباط ديني قوي يتمتعون برضا أكبر عن الحياة، ويكونون أكثر سعادة، وأكثر تحفيزًا، وأقل توترًا. كما أظهرت الدراسة أن هؤلاء الأشخاص أقل عرضة للانتحار وأن استخدام الكحول والمخدرات أقل شيوعًا بينهم. وفي النهاية توصلت الدراسة إلى أن زيادة التدين تعزز الصحة العقلية والنفسية.

في دراسة أخرى نُشرت أيضًا على موقع PubMed، لوحظ أن المؤمنين الذين يتوجهون بالدعاء عند مواجهة مشكلة، يشعرون بانخفاض في القلق والأفكار السلبية، كما يزول الضغط الواقع على الإدراك. أي عندما ندعو، نشعر بالراحة العقلية، ونصبح أكثر استقرارًا نفسيًا، ونستطيع التركيز بشكل أفضل على ما أمامنا.

هذه الدراسات وغيرها تؤكد أن التدين والدعاء لهما تأثيرات إيجابية في صحتنا، مما يعزز الحقائق التي نعرفها بالفعل. أعتقد أن مثل هذه الدراسات قد تقدم إسهامات قيِّمة لمساعدة غير المؤمنين على اكتشاف الحقيقة والخير والجمال. من ناحية أخرى، قد تحمل هذه الدراسات نوعًا من التبسيطية والنفعية، مما قد يؤدي إلى تشويش الحقيقة. فما المقصود بالتدين هنا؟ وما الذي نعنيه بالارتباط الديني أو الدعاء؟ هل يكفي أن يكون الشخص متدينًا بأي دين؟ أو إذا كان الأمر يتعلق بالدعاء، فهل يمكن أن ندعو للشمس مثلًا؟ بالطبع، لا يمكن أن نتوقع من العلم أن يجيب على مثل هذه الأسئلة، ولكن علينا أن نكون حذرين وألا نتجاهل الخطر الكامن في ذلك.

في النهاية، نحن لا نؤمن بناءً على هذه الدراسات أو ما يشابهها، ولكننا نراها معقولة لأنها تؤكد- ولو بشكل سطحي- على الحقائق التي نؤمن بها.

المصادر:

(١) https://pubmed.ncbi.nlm.nih.gov/١٦٩٢٤٣٤٩/

الأستاذ المساعد د. مراد كايا

الانسان والدين

يُعرف الدّين بأنه القانون والنّظام والطّريق المنظّم للعلاقات بين الإنسان وخالقه وباقي المخلوقات وعلى هذا التعريف يكون الدين مشتملاً على توجيهٍ مِن الله تعالى للإنسان يوضّح له فيه الطريق التي يجب عليه اتباعها في حياته قبل الموت، ويضع الدينُ بعض القواعد للإنسان حتى يعيش في هذه الدنيا مِن غير أنْ يُضرَّ بأحد وأنْ يلتزم بِمَا لَهُ وما عليه ويُمضي هذه الحياة الدنيوية القصيرة على نحو لا يعرِّض فيه حياته الأخروية إلى الخطر والهلاك.

لقد خلق الله تعالى أنواعاً شتى من المخلوقات، ولكنّ الإنسان يختلف عنها في المكانة والمرتبة حيث أكرمه بصفات وقابليات متفوقة ليست موجودة فيمَا عداه كالعقل والإرادة والعلم والإدراك والسلطان والتملك والجبروت ولكنها كسلاح ذو حدّين.

وفي حال استخدمت الناحية الإيجابية لهذه الصفات فإنَّها تأتي على الكائنات بنظام متمكن وخير وفير وبركة كثيرة للإنسانية. وأما فيما لو استخدمت الناحية السلبية لهذه الصفات فإنّ نتائجها من الشر تكون بما لا يخطر على البال متسببة باضطرابات مُخيفة وكذا تفتح الطريق أمام ظلم يبقِي العقول في دهشة وحيرة وتثمر حروباً مدمّرة.

ولذا فلا بد من قوة أخرى توجّه الصفات ومجموعة القابليات هذه وتضعها في إطارها الصحيح وتلك القوة هي الدين الحق ومن هنا كانت حاجة الإنسانية كلها إلى أن تدين لبارئها سبحانه وتعالى بالاعتقاد الجازم بوجوده ووحدانيته وأن تدين له بالعبودية المطلقة في كل شؤونه وأطوار حياته، أي إن الله سبحانه وتعالى ليس هو المحتاج إلى شيء من هذه الدينونة له أو التمسك بأمره،

ولكن سعادتنا الدنيوية -فضلاً عن الأخروية- هي التي تحوجنا وتضطرنا إلى هذه الدنيوية. (الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، دار الفكر، دمشق ١٩٩٧م، ص، ٦٤-٦٩)

لقد أفادت جميع الشرائع السماوية أنْ على الإنسان معرفة ربه وأنه خُلِق لكي يكون عبداً لربه (انظر: سفر الخروج، ٢٠: ٢ ـ ٣؛ سفر التثنية، ٦: ٤ ـ ٥؛ سفر متى، ٤: ١٠؛ وظائف الرسل، ١٧ : ٢٦ ـ ٢٨؛ القرآن الكريم، الذاريات، ٥٦)

ثم إن الأنبياء هم المكلفون بإبلاغ الناس هذا الدين ويصف الإسلام جميع الأنبياء والرسل بالصدق ويجعل الإيمان بهم من شروطه ووفق عقيدة الإسلام، فهناك تكامل بين الأنبياء كلهم، فكل نبي متأخر يقوم بتصديق المبعوثين مِن قبله ويبشر بالمرسلين مِن بعده. مما يعني أن من يصدق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام يكون قد صدق نبوة جميع الأنبياء والمرسلين من قبله، قال حاطِبُ بن أبي بلتعة رضي الله عنه رسولُ رسولِ الله عليه الصلاة والسلام إلى المقوقس حاكم الاسكندرية:

«إنه قد كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، فانتقم به ثم انتقم منه ، فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك ، قال : هات ، قال : إن لنا دينا لن ندعه إلا لما هو خير منه وهو الإسلام الكافي به الله ما سواه ، إن هذا النبي محمداً عليه الصلاة والسلام، دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له اليهود وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة سيدنا موسى عليه السلام بسيدنا عيسى عليه السلام، إلا كبشارة عيسى بمحمد عليه الصلاة والسلام، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوارة إلى الإنجيل ، وكل نبي أدرك قوما فهم من أمته ، فالحق عليهم أن يطيعوه، فأنت ممن أدركه هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكنا نأمرك به» (انظر: السهيلي، الروض الأنف، بيروت ١٤٢١، جـ٧، ص ٥١٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، القاهرة ١٩٩٣، ٤، ٢٦٦ ـ ٢٦٧؛ ابن حجر، الإصابة، بيروت، ١٣٢٨، ٣، ٥٣٠، ٥٣١)

يبيّن الأستاذ الدكتور تيموثي جيانوتي العضو في جامعة محافظة بنسيلفانيا أن الذي يختار الإسلام ديناً لا يعني

أنه محا دينه النصراني القديم بل إنَّ الدين النصراني ما هو إلا فترة تحضير للمرور إلى الإسلام وأن الإسلام هو الدين الأشمل الذي يضم مقاصد كل من المسيحية والإسلام وقال: «إن غاية الإسلام أن يجعل جميع البشرية لا فئة معينة منها شرفاءَ ومكرَّمين عند الله تعالى»

يوضح الحديث الشريف أن الأنبياء هم إخوة من أب واحد، قال النبي عليه الصلاة والسلام:

"أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علات، ليس بيني وبينه نبي" (البخاري، الأنبياء، ٤٨؛ مسلم، الفضائل، ١٤٥)

ويبين أن الأديان السماوية جميعها مشتركة في المبادئ الأساسية أي أن الدين الحق هو نفسه من أول نبي وحتى آخِر نبي لم يختلف في أساسيات الإيمان وفي مبادئ الأخلاق؛ عدا بعض الاختلافات الحاصلة في شكل العبادات وأحكام المعاملات.

وبما أن الدين الحق واحد فمن المحقق وجود تشابه بين الأديان الإلهية على سبيل المثال: الإسلام يأمر بالصلاة وهناك عبارات تتكلم عن أركان الصلاة في الكتاب المقدس:

«هلمّوا لنسجد ولنصلْ إلى الركوع ولنركع أمام الرب الذي خلقنا» (المزامير، ٩٥: ٦)

«وكبّوا على وجوههم مع موسى وهرون» (سفر الأعداد، ١٦: ٢٠-٢٢)

«وسارع موسى إلى السجود والعبادة» (سفر الخروج، ٣٤: ٨)

«ويكبّ عيسى إلى الأرض ... ودعى» (سفر متى، ٢٦: ٣٩)

«وكبّ الحواريون إلى الأرض على وجوههم» (سفر متى، ١٧: ٦)

الأستاذه. سحر كوتشوك

حماية القلب في العبادات التي تؤدي إلى رضا الله

في هذه الحياة الدنيا أُعطيَ النبي سليمان عليه السلام سلطانًا طويلًا وقدرة على الحكم على الكائنات المرئية وغير المرئية، وأُعطيَ قارون خزائن تحتاج إلى ثلاثمئة بغل لحمل مفاتيحها، وفي غزة يُقتل الأطفال قبل أن يكبروا. وفي هذا قال الشيخ العثماني أدبالي عن هذه الدنيا: "هي خان غريب، ومكان خشن. شربة ماء، وحلم عابر".

شهدنا مرة أخرى على هذا في غزة، التي يُذبح فيها الناس أمام أعين العالم كله في الأيام الأخيرة دون تمييز بين مسجد أو مستشفى أو نساء أو كبار أو أطفال. في هذه الأيام التي أُنشئت فيها العديد من المنظمات الدولية للعمل من أجل راحة البشر وسلامتهم، وحيث تحققت التطورات التكنولوجية الفائقة، وفي وقت يمكن للجميع أن يكونوا على علم بكل شيء تقريبًا؛ في هذا الوقت يُقصَف أناس لا حول لهم ولا قوة، فقراء وبلا حماية لعدة أشهر في جغرافيا قريبة منا دون اعتبار لأي حقوق.

الدنيا التي تُغري الناس بزخرفها وجاذبيتها، هي في جوهرها مكان لتعرُّف الإنسان على ربه والاختبار. يجب على الجميع أن يتوجهوا إلى ربهم بالإمكانات التي لديهم ويهدفوا إلى رضا الله تعالى. كما أن هناك عبادات مشتركة يمكن للجميع القيام بها، هناك أيضًا أشكال عبادة خاصة تتناسب مع خصوصيات الفرد وإمكاناته.

العبادة طوال اليوم...إن الأسوة الأكثر جمالًا للإنسان الذي خلقه الله ليعرف ربه ويقوم بأعمال فضيلة هو رسول الله ﷺ بلا شك. لقد مرت حياة النبي محمد ﷺ منذ صغره في مجتمعه بمشاعر الصدق والنزاهة والعدالة. نرى ذلك من سلوكه الرصين عندما كان طفلًا، ومن احترامه ودعمه لأقاربه، ومن مشاركته الطوعية في "حلف الفضول" الذي كان يدافع عن حقوق المظلومين، ومن انعزاله أحيانًا عن زينة الدنيا مثل الزوجة والأطفال وتوجهه نحو التأمل والغوص في عوالم روحانية.

تمضي الحياة الدنيا مثل رمال ساعة رملية تنفد، والعمر الذي هو رأس المال يذوب في كل لحظة. في ظل هذه العملية الزمنية، نحن جميعًا في أعمار مختلفة. قد يكون البعض منا في مرحلة الانتقال من الطفولة إلى الشباب، والبعض قد يكون في منتصف العمر، والبعض الآخر قد يكون في المحطة الأخيرة.

مهما كان العمر، وأينما كانت المكانة، وتحت أي ظروف كنا، هناك عبادات يمكننا القيام بها. أولًا، يجب أن نعلم أن رب العالمين أقرب إلينا من حبل الوريد، ويجب أن نحاول تقييم رأس مال العمر بالإخلاص بهذا الوعي.

السعي لتلبية احتياجات الإنسان في الدنيا، والبحث عن الرزق الحلال، وخدمة وإكرام الزوجة والأطفال والوالدين، والصبر على الأمراض والمحن، والرضا بقضاء الله وقدره، ومراعاة حقوق الأشياء والكائنات من حولنا، والتعامل بالرحمة والشفقة والعدالة مع الناس... كل هذه أمور هي أعمال صالحة، أي إنها عبادات.

فأثناء أدائنا العبادات لا يجب أن ندخل الدنيا ومتاعها في قلوبنا، ولا نرتبط بها كأننا لن نموت أبدًا. لا يجب أن نجعل هذه الدنيا حجابًا بيننا وبين ربنا، ويجب أن نحوِّل كل النعم والإمكانات التي في أيدينا إلى وسائل تقربنا إلى الله.

بيَّن لنا رسول الله ﷺ أن أثقل الأعمال الصالحة في ميزان العبد يوم القيامة هي "حسن الخلق". وأوضح أن توفير الرزق للأسرة التي يكون المرء مسؤولًا عنها يُعد "صدقة"، وأن الإحسان إلى الأقارب والمحتاجين يكون كفارة للذنوب.

إن من يعيش بين الناس ويضطر للتعامل معهم عليه أن يتحلى بالحلم في أقواله وأفعاله، أي أن يتصرف بلطف ويراعي حقوق الجميع، وهذه من العبادات التي تكسب رضا الله. وفي الحديث الشريف: "إن الله يحب الرفق في الأمر كله". [مسلم، السلام، ١٠؛ البخاري، الاستتابة، ٤].

وجاء في حديث قدسي أن ربنا قال: "...وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها..." [البخاري، الرقاق، ٣٨].

كان رسول الله ﷺ في بعض الليالي يستأذن زوجته عائشة رضي الله عنها بلطف ليعبد ربه قائلًا: "يا عائشة، ائذني لي أتعبد لربي الليلة" فيزيد من عبادته ويتقرب إلى الله.

وكان رسول الله ﷺ يستقبل شهر رمضان بشوق خاص، فيزيد من صدقاته وعباداته، وخاصة في العشر الأواخر منه، إذ كان يخصص معظم لياليها للعبادة ويعتكف في المسجد. وفي أيام العيد لم يكن يترك أحدًا من أهله في البيت، بل كان يدعوهم جميعًا للصلاة، وكان يطلب من النساء اللواتي في الحيض أن يأتين إلى المصلى ويشاركن في أحاديث العيد والدعاء رغم أنهن لا يصلين.

وكان رسول الله ﷺ يصوم بعد رمضان أكثر أيام شهر شعبان، كما كان يصوم أيام الاثنين والخميس، و"الأيام البيض" وهي أيام ١٣ و١٤ و١٥ من الشهور القمرية، وأيام العشر الأوائل من شهر ذي الحجة، وأيام ٩ و١٠ أو ١٠ و١١ من شهر محرم (عاشوراء).

وقال رسول الله ﷺ: "من أراد أن يكلمه الله فعليه بالقرآن". وكان ﷺ يداوم على قراءة بعض السور مثل سورة السجدة والملك وفصلت والإسراء والزمر والسجدة.

وأكد ﷺ على أن الإسلام هو "دين الاعتدال"، وأظهر في حياته كيف يمكن تحقيق التوازن بين الدنيا والآخرة.

حفظ القلب من أجل بركة العبادات واستمراريتها

حذَّر رسول الله ﷺ الذي هو القدوة الحسنة لمن يبتغون الله والآخرة أمته من الفتن التي ستواجهها وقال: "إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال". [الترمذي، الزهد، ٢٦]

عندما تُغلَّف القلوب بحب الدنيا وزينتها، يصبح الجهاد ضد النفس أكثر صعوبة. فعندما تكون الإمكانيات محدودة، نعيش في بيوت متواضعة ونشارك في عبادات وحلقات ذكر مليئة بالبركة، ولكن مع زيادة زينة الدنيا وجاذبيتها، تزداد مشاغلنا وأعمالنا. تماما كما حدث مع ثعلبة، الذي كان يُعرف بلقب "طائر المسجد" لحرصه على البقاء في المسجد، ولكن عندما زادت ثروته ومواشيه، بدأ يشتكي من عدم وجود وقت للمجيء إلى المسجد. ثم رفض حتى دفع الزكاة والصدقات عندما أرسل النبي ﷺ بعض أصحابه لجمعها منه، قائلًا: "لقد كسبتُ هذا بنفسي، وليس لأحد حق فيه!" وبهذا قيَّدته ثروته وأبعدته عن رسول الله ﷺ.

كان النبي ﷺ يحذر نفسه وأهل بيته من التعلق بزينة الدنيا والمبالغة في اقتناء المال والمتاع. وكان ينبه أزواجه دائمًا.

وحذَّر النبي ﷺ الذي وصفه الله تعالى بقول "حبيبي"، أمته أيضًا من زينة الدنيا وقال: "ألا تسمعون، ألا تسمعون، إن البذاذة من الإيمان، إن البذاذة من الإيمان" يعني التقحل.

[أبو داود، الترجل، ١]

قال النبي عليه الصلاة والسلام:

"من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم".

(الطبراني، المعجم الأوسط، ٧/ ٢٧٠/ ٧٤٧٣)

العلاقة بين الإنفاق والتقوى في القرآن

الدكتور: دوراك بوسماز

الإنفاق لغة: الصرف، والنفاد. والإنفاق اصطلاحاً حسب مفهوم القرآن: إخراج المرء جزءاً من النعم المادية والمعنوية التي يمتلكها وإعطائها للآخرين، وتقاسمها معهم ابتغاء مرضاة الله تعالى. فالإنفاق لا يكون من المال فقط، وإنما من النعم، والقيم الأخرى التي يمتلكها الإنسان. فالمسلم في مفهوم الإسلام ليس بالكائن الذي يفكر بنفسه، ويعيش لنفسه فحسب، وإنما المسلم يهتم بأمور الآخرين أيضاً. حيث قال النبي ﷺ:

"من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم".

(الطبراني، المعجم الأوسط، ٧/ ٢٧٠/ ٧٤٧٣)

وقال الله تعالى في معرض ذكر صفات المتقين:

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة: ٣)

ويلفت القرآن الكريم الأنظار في مواضع أخرى إلى أن من بين المتقين الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، ويمدون يد العون للفقراء والمحتاجين والضعفاء **﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾** (آل عمران: ١٧)

وعندما يتحدث القرآن الكريم عن أحوال المتقين وأعمالهم في الدنيا بينما هم في الآخرة ينعمون بالجنة وعيونها ونعيمها، يقول:

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (الذاريات: ١٩)

أي أنهم كانوا يعطون من أموالهم للفقراء والمساكين والمحتاجين في الدنيا.

ويبين الله تعالى في الآية الكريمة أن للفقراء والمحتاجين حقوقاً في أموال الأغنياء. وورد في آية أخرى خلال الحديث عن المتقين الذين استحقوا الجنة:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ (آل عمران: ١٣٤)

إذاً، إن الإنفاق في السراء والضراء، وفي العسر واليسر والغنى والفقر من عادات المتقين، ومن الصفات الملازمة لشخصيتهم لا تفارقهم أبداً. فالإنفاق والعطاء بطبيعة الحال أمر متوقع ومرجو من أصحاب المال والأغنياء لحسن أحوالهم المادية وسعة ذات اليد التي يتمتعون بها. ولهذا فقد فرضت الزكاة على الأغنياء

كنوع من الواجب الديني والاجتماعي المطلوب منهم تجاه فقراء المجتمع ومحتاجيه. وأما من لا يتمتعون بإمكانات مالية، ويعانون من ضيق ذات اليد مادياً، ومن قلة الموارد والدخل فلا مسؤولية عليهم دينياً في الإنفاق وتقديم يد العون المادي للآخرين. إلا أن بعضهم مع ذلك يعتبرون هذا الأمر واجباً اجتماعياً عليهم ويقدمون المساعدة من تلقاء أنفسهم وباختيارهم رغم أنه ليس بواجب أو فرض بحقهم، ولا شك أن الذي يدفعهم إلى هذا الفعل إنما هو التقوى. ولهذا نجد أن أهل التقوى سباقون في أعمال الخير.

إن كلمة "**السراء**" المذكورة في الآية القرآنية تعني: حالة السرور والفرح؛ وأما كلمة "الضراء" المذكورة فتعني: الأذى، والبلاء، والمشقة.

إذاً؛ المتقون يسارعون إلى الإنفاق سواء كانوا في حالة سرور وفرج ووفرة، أو كانوا يعانون من الضيق والبلاء والشدة...ويفسر البيضاوي عبارة "الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ" بقوله: ينفقون في الأحوال كلها، إذ الإنسان لا يخلو عن مسرة أو مضرة، أي لا يتخلون في أي حال عن إنفاق ما قدروا عليه من قليل أو كثير.

المتقون يمتازون بالسخاء والكرم، ويشعرون بالمتعة حين إنفاق أموالهم في سبيل الله تعالى. ويلفت القرآن الكريم إلى سخائهم ويثني على عملهم في مواضع متفرقة. وترد الإشارة إلى صفتهم هذه في سورة البقرة:

﴿وَآتَى الْمالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ (البقرة: ١٧٧)

الضمير في كلمة حبه يحتمل عدة وجوه، فإما يعود إلى "المال"، وإما يعود إلى الفعل "آتى"، كما يحتمل أن يعود إلى لفظ الجلالة "الله".

فإن أخذنا بالوجه الثاني، وهو أنه يعود إلى الفعل آتي فيكون معنى الآية:

"إن المتقي لحبه العطاء ينفق من ماله على ذوي القربى، واليتامى والمساكين...".

وحسب الوجه الثالث يكون المعنى:

"ينفق المتقي من ماله على ذوي القربى واليتامي ... لحبه الله تعالى".

وباختصار يمكن تفسير الآية بثلاثة معاني، هي:

إما: "رغم حبه المال ينفق منه".

وإما: "ينفق ماله حباً بالعطاء".

أو: "ينفق من ماله محبة بالله".

ومن الكلمات التي تستوجب الوقوف عليها في الآية الكريمة هي لفظة "السائلين". فهذه الكلمة جمع، مفردها سائل. ويتم تفسير هذه الكلمة بصفة عامة بالمتسول الذي يطوف على الناس ويسألهم العطاء، وهو تفسير مجانب للصواب.

المعنى الأصلي لكلمة السائل إنما هو الطالب، أي الذي يطلب، ويريد. فإن كان الشيء المطلوب حالة، أو حادثة، أو موضوع علمي لا يعلمه من قبل فإن السائل يكون

هناك بمنزلة المستفسر عن شيء، أي من يوجه سؤالاً. وأما إن كان الشيء المطلوب أو المراد مساعدة مادية فإن السائل يكون بمعنى طالب الحاجة، وكذلك المتسول. وأما السائل في القرآن فليس بمعنى المتسول، وإنما بمعنى طالب الحاجة. لأن المتسول اتخذ السؤال عادة له سواء كان محتاجاً أو لا، حتى أنه يجعل السؤال مهنة له. بينما السائل في القرآن هو طالب الحاجة. فقد فسر النسفي كلمة "والسائلين" بكلمة" المستطعمين" التي تفيد طالب الطعام. وفسر كلمة "للسائل" الواردة في الآية ١٩ من سورة الذاريات بقوله: لمن يسأل لحاجته. فطلب الحاجة مشروع، أما التسول فحرام.

القلب تكيه

محمد أنس قره دنيز

التكية تعني المكان الذي يسعى فيه دراويش المتصوفة من خلال ارتباطهم بشيخ للوصول إلى مرضاة الله عبر التربية المعنوية التي يتلقونها.

وفي الطريق المعنوي يدرس المسلم العلوم الظاهرة ويبدأ في إظهار رغبته في الدخول إلى الحقائق الباطنة بإرادته، ولهذا السبب يُطلق على السالك الذي يتبع مرشدًا اسم مريد، وما يقوده إلى عتبة باب التكية هو إرادته. وما ينتظره عند الباب هو نصيبه، وفقًا لجهده وعزيمته.

والتكية نقطة يلتقي فيها العلن بالخصوصية. تبدأ هذه الخصوصية برباط بين المريد والمرشد، وتنتهي في سلسلة معنوية تصل إلى الله تعالى. وأفضل مثال لهذه الخصوصية هو الخلوة، حيث يكون المريد وحده مع الله، مبتعدًا عن جميع العلاقات الخارجية. وفي خلوته، ينشغل فقط بذكر الله والتأمل في عظمته، مستخدمًا سُبحته ولسانه وأفكاره وإلهاماته.

لكن كيف يصبح القلب تكية؟ فالتكية في النهاية مكان، والقلب هو المكان الداخلي. كيف يمكن أن يكون المكان والمحل واحدًا؟ هذا هو سر من أسرار التوحيد.

تحويل المكان إلى مقام، والحال إلى مقام هو تجلٍّ لهذا السر. ويعني ذلك أن المكان الذي يشغله الإنسان في العالم المادي يمكن أن يُضاف إليه بُعد روحي، فيتحول من مجرد مكان مادي إلى مكانة روحية. وبهذا، يتحول المكان إلى مقام، ويصبح للعالم المادي معانٍ معنوية.

العلاقة بين المكان والمقام تفاعل روحاني. فالحال والمكان يأتيان من أصل واحد، وكل حال يظهر في مكان ما. وإذا استقر الحال وتكامل في مكان معين، فإن صاحب ذلك المكان يصبح صاحب مقام، حتى يكون مقيمًا دائمًا في ذلك الحال، ويصبح الحال مقامًا.

لكن لماذا يكون القلب هو محل التكية؟

للقلب في اللغة ثلاثة معانٍ:

الأول: هو العضو الجسدي (القلب)،

الثاني: هو العقل، كما ورد في الآية الكريمة:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ (الأعراف: ١٧٩)

حيث يحمل القلب معنى الفهم العقلي.

أما المعنى الثالث: فهو التغيير، أي التحول من حال إلى حال.

تحويل القلب، الذي هو محل، إلى مقام روحي يتم من خلال جمع هذه المعاني الثلاثة. فالتحول الروحي للقلب يتطلب استخدام إمكانياته العقلية لإحداث انقلاب روحي. وهذا يُشبه الكيمياء الروحية، حيث يتحول الإنسان العادي من خلال هذا الانقلاب الروحي إلى إنسان يتمتع بمكانة عالية، ويصبح خليفةً وأشرف المخلوقات.

لكن القلب لديه القدرة على التحول إلى الخير أو الشر (التغير، التقلب).

لهذا فإن الإنسان الذي هو أسمى المخلوقات والمرشح لأن يكون خليفة الله في الأرض يمتلك القدرة على السقوط إلى أسفل سافلين أو الارتقاء إلى أعلى عليين. يجب أن نتذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، في دعائه، قال:

"يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك!"

علينا نحن المؤمنين المكلفين باتباع طريق نبينا صلى الله عليه وسلم أن نطلب من الله أولًا أن يحول حالنا إلى أحسن حال، ثم نحول هذا الحال الجميل إلى مقام دائم في قلوبنا، مما يجعل مكان القلب يتحول إلى مقام روحي. إذا فعلنا ذلك، فإن قلوبنا ستصبح تكية، وباب تلك التكية سيصبح باب الجنة. من يضع رأسه على عتبة ذلك الباب سيكون مثل الدراويش الذين وضعوا رؤوسهم على عتبة شيخهم.

وما يحول عتبة الباب التي هي مجرد قطعة حجرية، من مكان إلى مقام هو الحب، حب الله ورسوله. ومن أجمل الأمثلة على هذه الحالة من الحب هو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما وقف أمام الحجر الأسود:

"إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك".

فبهذه الكلمات أظهر أن الحب يمكنه أن يجرد كل شيء من مظهره المكاني ويحول ذلك الشيء إلى مقام روحي.

القلب
لا يصبح تكية
إلا إذا كان معمورًا،
وهذا لا يمكن تحقيقه إلا
بتطهير القلب من كل الهواجس
والأفكار الغريبة بكنسها بمكنسة
"لا إله إلا الله". وعندما لا يبقى شيء
في القلب إلا الله، يصبح عرشًا لله.
وحينئذ فقط يجد القلب
قيمته الحقيقية.

فالقلب لا يصبح تكية إلا إذا كان معمورًا، وهذا لا يمكن تحقيقه إلا بتطهير القلب من كل الهواجس والأفكار الغريبة بكنسها بمكنسة "لا إله إلا الله". وعندما لا يبقى شيء في القلب إلا الله، يصبح عرشًا لله تعالى. وحينئذ فقط يجد القلب قيمته الحقيقية. وكما قيل: "شرف المكان بالمكان"، أي أن شرف المكان يأتي من ساكنيه.

وما يسكن القلب هو الذي يمنحه قيمته.

والطريق لجعل القلب مكانًا لنظر الله هو:

تزكية النفس،

وتطهير الروح،

وتخلية القلب،

وتقوية السر.

الأستاذ المساعد د. فرات أردوغان

الأمراض النادرة

يُعرف المرض النادر في الولايات المتحدة بأنه المرض الذي يصيب ما لا يزيد عن ٢٠٠،٠٠ شخص، بينما في اليابان، يجب ألا يتجاوز عدد المصابين ٥٠،٠٠٠ شخص، وفي أستراليا، يُعتبر المرض نادرًا إذا أصاب أقل من ٥٬٠٠٠ شخص. يعاني حوالي ٣٥٠ مليون شخص حول العالم من هذه الأمراض النادرة.

٢٩ فبراير/ شباط هو نعمة لا تتكرر إلا كل أربع سنوات كما تعلمون. لماذا هي نعمة؟ لأن الأشخاص الذين يتخذون الخير شعارًا لهم يحصلون على فرصة إضافية لفعل الخير في تلك السنة. ومن وحي هذا اليوم النادر، تم ابتكار مشروع لرفع الوعي يُسمى "اليوم العالمي للأمراض النادرة". وقد وُجد هذا اليوم النادر في التقويم بفضل منظمة الأمراض النادرة الأوروبية (EURORDIS)، التي قررت في عام ٢٠٠٨ تسليط الضوء على هذه الأمراض التي لا يعرفها الكثيرون. ونحن في هذا المقال سنحاول التفكير في هذا الموضوع.

ما هي الأمراض النادرة؟

وفقًا للقبول العام، يُطلق مصطلح الأمراض النادرة على الحالات التي تصيب ٥ أشخاص أو أقل من بين كل ١٠،٠٠٠ شخص في المجتمع. هناك حوالي ٨٠٠٠ مرض نادر يتسم بهذه الصفة. بعضها يظهر بمعدل يصل إلى واحد من بين كل ٢٠٠٠ شخص، بينما يظهر البعض الآخر في عدد قليل جدًا من الأشخاص حول العالم. في بعض البلدان، قد يُعتبر المرض الشائع في بلد ما مرضًا نادرًا في بلد آخر. وللأسف يمكن علاج ٥٪ فقط من هذه الأمراض.

يُعرف المرض النادر في الولايات المتحدة بأنه المرض الذي يصيب ما لا يزيد عن ٢٠٠،٠٠٠ شخص، بينما في اليابان، يجب ألا يتجاوز عدد المصابين ٥٠،٠٠٠ شخص، وفي أستراليا، يُعتبر المرض نادرًا إذا أصاب أقل من ٥٠٠٠ شخص. يعاني حوالي ٣٥٠ مليون شخص حول العالم من هذه الأمراض النادرة. وتحتل الولايات المتحدة المرتبة الأولى من حيث عدد الحالات المسجلة للأمراض النادرة، حيث يعاني حوالي ٣٠ مليون شخص، وتليها الصين بـ ٢٠ مليون شخص.

وتشير الإحصائيات من الولايات المتحدة إلى أن التكلفة السنوية لنصف الأمراض النادرة فقط تصل إلى تريليون دولار. في تركيا نسبة الأشخاص الذين يعانون من الأمراض النادرة حوالي واحد من كل ١٦، أي حوالي ٥ ملايين شخص. نعم، عند النظر إلى الأمراض بشكل فردي، تبدو نادرة، ولكن عند جمعها معًا، تكون الصورة هكذا. أما في أوروبا، فيكافح حوالي ٣٦ مليون شخص مع الأمراض النادرة.

وفقًا لبيانات EURORDIS، فإن ٧٠٪ من الأمراض النادرة تظهر في الأطفال. أي يمكن القول إن العديد منهم لا يصلون إلى مرحلة البلوغ. يموت ٣٠٪ من الأطفال الذين يولدون بأمراض نادرة قبل بلوغهم سن الخامسة. وبسبب أن عملية التشخيص تستغرق من ٥ إلى ٧ سنوات تقريبًا، يظل العديد من المرضى محرومين من العلاج.

وتنتقل ٧٢٪ من الأمراض النادرة وراثيًا، بينما ينتج الباقي عن البيئة أو العدوى أو الحساسية. وهذا يعني أننا جميعًا معرضون لخطر هذه الأمراض.

عندما ننظر إلى الحلول، نلاحظ أن حوالي ثلاثة أرباع هذه الأمراض وراثية، مما يعني أن البعض منها يمكن اكتشافه مسبقًا. أشهرها هو مرض الخثل العضلي الشوكي (SMA)، والذي يمكن أن يكون مميتًا. يمكن اكتشاف هذا المرض والعديد من الأمراض الأخرى قبل الزواج أو على الأقل قبل الحمل.

ماذا سيحدث إذا اكتشفنا المرض؟

يتم إجراء فحص جيني قبل الغرس، حيث يتم تقييم الزيجوت (الجنين في مرحلة الخلية الواحدة) الذي يتكون عبر عملية التلقيح الاصطناعي. يتم اختيار واحد أو اثنين من الأجنة السليمة وزرعها في رحم الأم.

كما يوجد فحوصات لحديثي الولادة. عندما يتم اكتشاف مرض قصور الغدة الدرقية الخلقي من خلال هذه الفحوصات، يمكن للشخص العيش حياة صحية تمامًا مع تناول دواء بسيط مدى الحياة. ولكن إذا تم تشخيصه متأخرًا، فسيضطر الشخص إلى التعامل مع ما تبقى من عقله.

إجراء آخر يجب اتخاذه هو التخلي عن الإصرار على زواج الأقارب. بينما تبلغ نسبة زواج الأقارب في أوروبا حوالي ٥٪ (والتي يأتي معظمها من مهاجرين).

هناك مشاكل كبيرة في العالم.

يجب أن نقدّر صحتنا ونشكر الله عليها.

هناك كثير من الأشخاص الذين يحتاجون إلى مساعدتنا.

ولا ننسى المشكلة الشائعة التي لم تعد نادرة: إخواننا في غزة الذين يتعرضون للقتل، ويعانون من الإعاقات، والجوع. نسأل الله أن يكون معهم، وأن يمنحنا الوعي لأداء مسؤولياتنا.

الأستاذه. بشرى أموهان

إذا كان الماء راكدًا فاصنع موجتك

"اليوم!" قالت المرأة وهي تنظر إلى جسد طفلها الهزيل: "اليوم سيأتي رزقنا على جناح طائر..."

ففتح الطفل عينيه مندهشًا وقال: "هل تحمل الطيور الطعام يا أمي؟"

"لماذا تندهش يا بني؟ بالأمس جاء رزقنا من فم الأسد..."

آمنة، امرأة تعيش في السودان، تحديدًا في العاصمة الخرطوم، في حي المجاهدين. تبلغ من العمر ثلاثة وثلاثين عامًا، ولديها أربعة أطفال. تعتني بزوجها وأطفالها بالإضافة إلى أختها الأرملة ووالدتها المريضة. هي ملكة منزلها، حتى وإن كان مجرد غرفة صغيرة في موقع بناء خلف المنازل الفاخرة. ولكن لا تخبروها بذلك! فهي ترى نفسها من أكثر النساء حظًّا في إفريقيا، بفضل امتلاكها لأربعة أطفال أصحاء وقدرتها على إطعامهم من رزق حلال. وهي سعيدة بزواجها وتعتبر نفسها محظوظة لأنها وجدت عملًا.

ذات صباح، طرق الباب باكرًا. ورغم أنه كان موعد وصول آمنة المعتاد، إلا أن ذلك اليوم لم يكن يوم تنظيفها. نظرت من العين السحرية بفضول. رأيتها واقفة تنتظر بملامحها المبتسمة التي غطت وجهها. عندما فتحتُ الباب، استقبلتني بوجه يشبه ليلة مشرقة.

وقالت: "اليوم هو يوم التنظيف!" ودخلت دون أن تنتظر قبولًا. لم أكن أتذكر، لكن بما أن آمنة قالت ذلك، فلابد أنه صحيح، فاستقبلتها.

وقلت: "تعالي، لنتناول الفطور معًا أولا".

فقالت:

"لا، سيدتي، من فضلك ضعي حصتي في علبة. سأتناولها مع أطفالي في البيت!" ثم اتجهت نحو مواد التنظيف في الحمام.

كنت أعلم. لم تكن قد تناولت الإفطار بعد، كانت آمنة جائعة. أصررت عليها.

"سأضع لأطفالك الطعام أيضًا، تناولي قليلًا..."

ذلك اليوم، رأيت في عيني آمنة قلقًا لم أره من قبل. وبالرغم من الضباب الذي يغشى عينيها، خرجت كلمة حادة من شفتيها الجافتين:"لا!"

اعتقدت أنها تعاني من مشكلة لا تريد مشاركتها، لذا تركتها. في ذلك اليوم، أنهت آمنة عملها بعناية كعادتها، ولكن بشكل أسرع بكثير. وبعد أن استعدت، أدت صلاتها بشغف على سجادتي بعد أن أذن المؤذن. كنت أعلم أنها تحب الصلاة على سجادتي لأنها كانت تستمتع بذلك، لكنها كانت تؤدي صلاتها ليس فقط لأنها تحب السجاد، ولكن لأنها اتخذت من الصلاة فور سماع الأذان مبدأً لها. كان الرجال أيضًا يوقفون سياراتهم لتكوين جماعات صغيرة للصلاة بالحرص نفسه... وبعد أن أعطيتها أجرها، غادرت بسرعة.

بعد أسبوع، عادت آمنة في اليوم المتفق عليه لتنظيف المنزل. لكنها جاءت هذه المرة مرتدية عباءة الهدوء التي اعتدت عليها... دعوتها لتناول الفطور على الطاولة التي كنت قد جهزتها. لم أكتفِ بالدعوة فقط، بل ألححت عليها كثيرًا. أعتقد أن إصراري الحقيقي لم يكن من أجل تناول الفطور معها بقدر ما كان مدفوعًا بالفضول العميق الذي كان ينمو في داخلي طوال الأسبوع.

وجلستْ على الطاولة بخجل، فسألتها مباشرةً السؤال الذي كان يدور في ذهني: "ماذا كان بكِ الأسبوع الماضي؟"

فأجابت بتلقائية ودون تردد:

"الأسبوع الماضي، لم يجد زوجي عملًا. أطفالي... لم يدخل شيء إلى أفواههم. يقول أجدادنا: (في إفريقيا، يستيقظ غزال كل صباح وهو يعلم أنه يجب أن يركض أسرع من أسرع أسد، وإلا فسوف يُقتل. وفي إفريقيا، يستيقظ أسد كل صباح وهو يعلم أنه يجب أن يركض أسرع من أبطأ غزال، وإلا فسيموت من الجوع. لا يهم إن كنت أسدًا أو غزالًا، عليك أن تركض كل صباح). نحن هنا نسعى لكسب قوتنا اليومي لنتمسك بالحياة. كنتُ مضطربة لإطعام بطون أطفالي الجائعة".

امتلأت عيناي بالدموع، ورحت أحاسب نفسي وأنا أنظر إلى الطرق الترابية في السودان من النافذة الكبيرة...ضعت في عينيها الكبيرتين الداكنتين التي تشبه حبوب البن، دون أن أستطيع قول شيء. ثم سألتها مجددًا: "لكن، لماذا لديكِ كل هؤلاء الأطفال في هذه السن الصغيرة؟ لديكِ أربعة أبناء... تهتمين بكل واحد منهم بشكل منفصل، وتبذلين جهدك لكي لا تهملي أيًّا منهم، وفي الوقت ذاته تسعين وراء الرزق..."

فأجابت: "سيدتي! في احتضان الأم لأطفالها دون أي مصلحة شخصية، وفي قلقها وهي تدور حولهم بسبب بكائهم، رأيت الأمومة... وقلت لنفسي إن الأمومة هي الحب، وأحببت الأمومة... رأيت الأمومة في ارتباط الشجرة المتجذرة بجانب الجبل بالأرض بقوة... عندما رأيت في الصحراء كيف ترضع التربة الحمراء الصبَّارات دون كلل أو ملل، وعندما اكتشفت آلاف بيضات الديدان تحت التربة، وعندما علمت أن النمل يقيم دولة في أعماق الأرض، أدركت أن التربة هي أم. والأهم من ذلك كله، عندما علمت أن التربة هي أمُّ أمِّنا حواء، وقعت في حب الأمومة مرة أخرى...

في ليالي الوحدة التي لا يوجد فيها أحد، في نسيج السماء الذي يمد جسدي بالثقة ويحتضنني... وعندما كنت عطشانة، رأيت كيف يملأ المطر الدلاء التي

تركتها في الحديقة... وعندما كنت أشعر بالبرد، كانت الشمس تدفئني حتى عظامي... وعندما كنت أحترق من الحرارة، كانت الغيوم تمنحني البرودة... رأيت الأمومة في زُرقة السماء ووقعت في حبها مرة أخرى.

رأيت الأمومة عندما قمت برحلة بحرية صعبة إلى الكعبة... بينما كنت أسعى بين الصفا والمروة، شعرت بنظرات السيدة هاجر نحو إسماعيل وبكيت، بنظراتها... هي ركضت وأنا ركضت، هي ركضت وأنا ركضت بهدف إطعام الطفل... وهكذا أحببت الأمومة.

ثم فجأة، كأنني رأيت واحة في الصحراء، رأيت أمي، في أعمق لحظات الليل. ناديتها:

"كيف جئت إلى هنا؟ ألم تموتي من المرض وأنا صغيرة جدًا؟"

لم تقل شيئًا، فقط لمست شعري، وشمتني بعمق...

رأيت أمي ذات ليلة، عندما شعرت بلمساتها التي اشتقت إليها على شعري... في أطراف أصابعها شعرت بعطر الجنة يلامس بشرتي...

في تلك اللحظة، قررت! سأهدي نفسي الجنة في الدنيا من خلال أولادي الذين أهداني إياهم الرحمن..."

ثم سألتها:

"حسنًا، كيف تستطيعين أن تكوني سعيدة وسط هذا الفقر؟"

فأجابت:

"السعادة، يا سيدتي، كريمة لدرجة أنها لا تحصر نفسها في الماديات... نظرت إلى نفسي، رأيت أن مالي يزداد كلما قنعت. ونظرت إلى الغني، فوجدت أن حاجاته تزداد كلما امتلك أكثر. نظرت إلى بيتي، فرأيت الدفء الذي يملأ المساحة بين أفراد الأسرة المتنفسين معًا على فراشين متقابلين. ثم نظرت إلى بيت الغني، فشعرت بالبرود بين أفراد الأسرة الذين يعيشون في عوالم منفصلة على أثاث فاخر. نظرت إلى نفسي، كلما قمت برحلة شاقة لزيارة أقاربي تحت الشمس الحارقة، ازداد لقاءهم قيمةً عندي. كنت أعد الضحك، والمرح، وقضاء الوقت معهم من أسعد لحظات حياتي. ثم نظرت إلى الغني، فرأيت كيف أن رحلته المريحة في سيارته المكيفة جعلت كل شيء سهلًا فاقدًا للقيمة، ولم يعد يستمتع بقضاء الوقت مع أحبائه. الآن سيدتي، أخبريني، مَن منا يعيش في الفقر حقًا؟"

أمسكتْ بيديَّ اللتين كانتا ثابتتين على الطاولة منذ فترة، ونظرت في وجهي... في تلك اللحظة، مر بخاطري أن سعادة الأسرة ترتبط ارتباطًا مباشرًا بسعادة المرأة. وسعادة المرأة تعتمد على النافذة التي تختار أن تنظر من خلالها إلى الحياة، سواء كانت إيجابية أو سلبية. شعرت بكلماتها تتسلل إلى أعماقي: "سيدتي، الدرس الوحيد الذي علمتني إياه الحياة هو: إذا كان الماء راكدًا، فاصنعي موجتك الخاصة!"

منذ ذلك اليوم، أصبحت آمنة في نظري ليست مجرد مساعدة تأتي إلى منزلي، بل أصبحت سيدة حكيمة، وزوجة وفية، وأمًّا مثالية. شعرت بشمس الأمل تشرق في داخلي. الأمل أضاء حياتي بين ذراعي امرأة. وازداد في صدري الشوق للقاء نساء كثيرات يملكن قلوبًا مثل قلب آمنة... كنت أعلم أن الحياة ستكتمل عندما تصل المرأة إلى الكمال... هؤلاء النساء كانت الأرض تحتضنهن بصبر وهدوء!

مَن الحافظ؟

الدكتوره. بتول نفيسة إينال

التغذية بالنسبة لي أمر مهم منذ اللحظة الأولى، وهي ضرورية أيضًا لخلاياي. لقد بدأ القلب الصغير بالتقلص والارتخاء لأول مرة، وسوف يُربَط بنظام الأنابيب الطويل الذي سيمتد في النهاية لعدة كيلومترات، وسيصل ماء الحياة إلى كل خلية من خلاياي. ستتجمع هذه الخلايا لتشكيل أعضائي وأنظمتي. وستكون قنوات التغذية الخاصة بكل نظام ذات مداخل ومخارج مخصصة.

بينما يتطور مخطط الدماغ جنبًا إلى جنب مع النظام العصبي الغني، فإنه يحيط بكل جزء من أجزاء جسمي النامي. ومن الضروري أن يكون الدماغ، الذي تم تطويره ليكون مركز معالجة المعلومات، على علم بما يحدث في أبعد أركان جسمي. يتم ترميز العديد من المعلومات المتغيرة مثل حدوث خلل في العمليات، أو الشعور بالألم، أو التعرض لإصابة، أو مستويات الأكسجين وثاني أكسيد الكربون التي تدخل وتخرج من الأعضاء. ويتم إنشاء مراكز لمعالجة هذه المعلومات في الدماغ. وفي الوقت نفسه يتم تعليم نظام الأسلاك المتصل بالدماغ كيفية التعامل مع هذه المعلومات. وكل سلك يعرف أي خلية يتصل بها، وأي عضو يدخل ويخرج منه، وأي رموز يحملها.

خلاياي تتواصل بلغة خاصة بها. حتى لو لم أفهم، فهي تدرك ما تتحدث عنه. لديها رموز منذ البداية وتتحدث دائمًا بهدوء. توجد قنوات خاصة على جدران الخلايا تسمح بتدفق الإشارات والمعلومات من خلالها بشكل منتظم. وأي انقطاع مؤقت يمكن أن يتحول إلى كابوس كبير! لهذا السبب، تتم مراقبتي بعناية واهتمام.

حتى وإن لم أكن أعلم من هو "الذي يحرسني ويرعاني"، إلا أنني أشعر أنه يحبني ويقدرني!

أتساءل في نفسي: "هل هو المكان الذي أعيش فيه؟"

"أم هو الذي أمسك بي في لحظات الشدة ولم يتركني أضيع؟"

"أم تلك الامتدادات التي تغذيني منذ اللحظة الأولى وتحملني من يد إلى أخرى؟"

"أم تلك الهياكل التي تشبه الأنابيب والتي تحيط بي وتشارك معي كل الغذاء الذي تحتويه؟"

"أم هي الصخور الحصينة التي تحيط بي لتحميني من أي ضرر؟"

"أم هو ذلك السائل الدافئ اللذيذ الذي يغذيني بحنان؟"

"أم هو القلب الذي يحتضنني بحب ودفء؛ ذلك الذي سأدعوه لاحقًا: أمي؟"

أفكر في رحلتي منذ البداية، حتى وإن لم أتمكن من إدراك كل شيء بشكل كامل بعد بفضل النظام العصبي الذي بدأ للتو بالتشكل. ربما تكون الخلايا العصبية التي يتم إنشاؤها بمعدل خمسة آلاف خلية في الثانيةقد تعلمت متى تم اتخاذ القرار الأول الخاص بي.

قرار اتخذ قبل أجيال من أكون وكيف وصلت إلى هنا؟ كيف يعرف النظام الذي أحمله بداخلي عني؟ وإلى أين تأخذني رحلتي؟

أنا في الحقيقة قرار اتخذ قبل أجيال! هذه المغامرة تمتد صعودًا عبر الزمن، بدأت من والديَّ ثم استمرت حتى أول أجدادي.

أقول لنفسي:

"لو لم تكن أمي موجودة، لما كنت أنا هنا الآن!"

لكن، متى تم اتخاذ القرار بشأن أمي؟

"لو لم تكن هناك خلايا البيضة الخاصة بجدة والدتك الكبرى، لما تم اتخاذ قرار بشأن أمك!" يهمس لي ذلك التورم الذي بدأ يتشكل بين عمودي الفقري وقفصي الصدري عندما كنت في الأسبوع السادس فقط من عمري. أي إن القرار بشأن وجودي تم اتخاذه قبل وقت طويل من وجودي، وكان ذلك مرتبطًا بجدة والدتي.

أم والدتي، عندما كانت في رحم والدتها وهي في الأسبوع السادس من الحمل، كانت تمتلك بالفعل الخلايا التي ستشكل والدتي.

الخلايا التي ستشكلني لم تأتِ من أمي فقط، لقد خُلقت من نطفة مختلطة. ولهذا السبب، هناك جزء من الأمانة التي ستشكل جسدي يأتي من جانب أبي أيضًا. ومن أجل ذلك، هناك حاجة إلى العمل الدقيق والتفاصيل والإعدادات نفسها التي بدأت منذ سنوات عديدة. أم والدي، عندما كانت في رحم والدتها خلال الأسابيع الأولى من الحمل، كانت هناك بالفعل تحضيرات تتشكل لخلايا جدتي التي ستشكل أبي، وتم الانتهاء من التحضيرات المتعلقة بوالدي.

أي إن صوت خطواتي نحو العالم لا يعود إلى ٤٠ أسبوعًا أو ٤٠ عامًا مضت، بل إلى ما لا يقل عن ١٠٠ عام مضت. كانت هناك حسابات دقيقة وتوقيتات منظمة من أجل أن يجتمع شخصان من مليارات البشر الذين يعيشون على مسرح العالم.

أثناء استمرار عملية لقاء هذين الشخصين من بين مليارات البشر، من هو الذي كان يخطط لهذا الأمر حقًا، وما كانت نيته؟

ما هو دور أجدادي في هذا البرنامج؟

هل كان بإمكان أجداد أمي وأجداد أبي التعرف على بعضهم البعض؟

هل كان بإمكانهم البدء في إعداد خطة لمواجهة أحفادهم الذين سيرسلون إلى العالم بعد سنوات عديدة، دون أن يتسببوا في فوضى؟

أثناء استمرار عملية لقاء هذين الشخصين من بين مليارات البشر، من هو الذي كان يخطط لهذا الأمر حقًا، وما كانت نيته؟ ما هو دور أجدادي في هذا البرنامج؟ هل كان بإمكان أجداد أمي وأجداد أبي التعرف على بعضهم البعض؟ هل كان بإمكان كائن ضعيف لا يعرف نفسه تمامًا ولا يعلم شيئًا عن غده أن يخطط لشيء سيحدث بعد مئة عام، ويحسب الثواني والمسافات المجهرية، ويشمل في حساباته ليس الآلاف، بل مليارات البشر؟

هل كان بإمكان كائن ضعيف لا يعرف نفسه تمامًا ولا يعلم شيئًا عن غده أن يخطط لشيء سيحدث بعد مئة عام، ويحسب الثواني والمسافات المجهرية، ويشمل في حساباته ليس الآلاف، بل مليارات البشر؟

برنامج القدر

نعم، ثوانٍ وجزيئات مجهرية... لأنه من أجل أن أظهر على مسرح الوجود، كان يجب حساب وتسجيل وحدات زمنية أصغر من الثواني، ومسافات أقرب من الجزئيات المجهرية، والعديد من القيم التي لا أستطيع عدها الآن، والتي سأعدها لاحقًا بحب كبير، كل ذلك كان يجب أن يتم بدقة.

كان يجب أن تكون برامج القدر معروفة لكل إنسان عاش قبلي، حتى عصور قبل الميلاد، وحتى أول إنسان على وجه الأرض.

صاحب هذا الحساب كان يتمتع بعلم وقدرة لا حدود لهما، حيث تم إعداد هذه الخطط لكل إنسان يُرسل إلى الدنيا بشكل فردي، ولم يحدث أي اضطراب، ولم يختلط أي شيء مع الآخر.

لقد تم تقديم برنامج (قدر) منتظم للغاية على الأرض لعدة قرون، ولم يحدث أي فوضى.

همس صوت من مكان مجهول: "ليس فقط قدومك إلى العالم، بل حتى ورقة واحدة لا يمكن أن تسقط من فرعها دون علمه!"

يا له من شيء مدهش! حتى الأوراق التي كنت أظن أنها تتناثر بشكل عشوائي في الرياح لم تُترك هكذا دون تخطيط، بل كانت جزءًا من خطة. لقد تم إخراج كل ورقة بشكل فردي، وتم تثبيتها على غصنها، وتم عدّها، وعندما جاء الوقت تم السماح لها بالسقوط.

شعرت بأنني محظوظة للغاية لأنني في أمانة هذه القوة الهائلة؛ وقلت لنفسي: "كم يجب أن أشكر على ذلك!"

لأنني كنت في وعاء مملوء بالماء، محاصرًا بملايين الخلايا. كانت خلاياي تتكاثر باستمرار وتعمل بنشاط. لم أكن أعرف ما سيحدث لي بعد لحظة، إلى أين سأذهب، أو ماذا ينتظرني. كان شعورًا مريحًا أن أسلم نفسي لمن يعرف كل شيء!

أي المجتمعات أعظم حضارةً؟

إذا نظرنا في ماضينا الذي كانت تسود فيه الأخلاق الإسلامية، سنجد أن فقراء الناس وأغنياءهم كان يرأف بعضهم ببعض، فقد كان يعيش الغني والفقير في البلدة نفسها في طمأنينة وسكينة دون أي فروقات في التجمَّعات والأحياء السكنية، وكان كل حي مأوى للأرامل واليتامى والمساكين، فإن كان ثمة مريض في البيت، وُضِعَت ورود حمراء في شرفة المنزل، كي يمر الباعة من أمام البيت دون إزعاج، ويلعبَ الأطفال في مكان آخر. لقد كان ذلك السلوك نتاجَ تربية عظيمة، فأي مربٍّ اليوم أو أي عالم نفس أو عالم اجتماع يستطيع أن يضع أمامنا مثل هذه التربية؟

إننا نجد اليوم في حفلات الزفاف والأعياد مجموعةً من الناس إذا أرادوا أن يستمتعوا أطلقوا الألعاب النارية، غير آبهين بالمجتمع من حولهم، ولا مراعين لأحوال الرضَّع ولا الحوامل ولا المرضى ولا المكروبين. فهذا هو الفارق في الإنسانية والرقي في المجتمعَين... إنها نتيجة مؤسفة لسنين قضاها الناس في انحلال ثقافي وحضاري...

إلى كل مهموم وحزين

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام:

«عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرا له»

(مسلم، الزهد، ٦٤/ ٢٩٩٩)

الأستاذ: حسين العلي

عن أنس بن مالك ﷺ، قال: كان النبي ﷺ يقول:

«اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين، وغلبة الرجال» (البخاري، الدعوات، ٦٣٦٩)

إلى كل من أحاطه الملل في حياته، وسكن القلق عيشُه في صباحه ومسائه ...

إلى كل من ذاق طعم الهم، وتجرع كأس الغم ...

إلى كل من تأخر عليه الفرج ، ويأس مِن من بيده مفاتيح الفرج ...

إلى كل من واجهته الصعاب، وترعرع في نفسه راسب الاكتئاب.

اصبر وما صبرك إلا بالله، استقبل المكارة برحابة صدر .... استقبل الهموم والغموم بقوة وشجاعة تناطح السحاب ....

فهل أوجد العلماء، وهل أوجد الحكماء، حلاً للأزمات والمصائب غير الصبر؟!

اصبر يامهموم، فالله تعالى يقول:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا} (آل عمران، ٢٠٠)

اصبر يامهموم، فالله تعالى يقول:

{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ}(النحل، ١٢٧)

اصبر يا مهموم، فسيدنا محمد ﷺ يقول:

"إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم" (ابن ماجة، الفتن، ٢٣)

اصبر مهما داهمتك الخطوب، اصبر مهما أظلمت أمامك الدروب. فإن مع العسر يسر ... وإن مع الكرب فرج ...

أيها المهموم: إن سِرَّ أسباب راحة البال ... وهدوء الجنان ... هو الاستغفار..

أيها المهموم: اطمئن فإنك تتعامل مع اللطيف بالعباد والرحيم بالخلق.

أيها المهموم: اطمئن فإن العواقب حسنه، والنتائج مريحة، والخاتمة كريمه.

أيها المهموم: هدئ أعصابك بالإنصات إلى كتاب ربك، أنصت إلى تلاوة ممتعه حسنه مؤثره من كتاب الله تسمعها من قارئ جيد حسن الصوت، أو اقرأ كتاب الله العظيم الذي هجره بعض الناس، اقرأ هذا الكتاب، وتدبره ورتله ، فإن ذلك يفضي على نفسكَ السكينة، والراحة، والطمأنينة. قال تعالى:

{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} (الرعد، ٢٨)